الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

المبادلات التجارية في الدولة الزيانية مع العالم المسيحي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:

- شعيب حفصة
- ريخة منال

تحت إشراف الأستاذ:

- الدكتور: وانس صلاح الدين

لجنة المناقشة

الأستاذة	الجامعة	الصفة
أ. د/ يمينة بن صغير حضري	جامعة غرداية	رئيساً
د/ صلاح الدين وانس	جامعة غرداية	مشرفاً ومقرراً
د/ بكير بو عروة	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1442-1443هـ /2021-2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

المبادلات التجارية في الدولة الزيانية مع العالم المسيحي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبتين:

– شعيب حفصة

– ريخة منال

تحت إشراف الأستاذ:

– الدكتور: وانس صلاح الدين

لجنة المناقشة

الأستاذة	الجامعة	الصفة
أ. د/ يمينة بن صغير حضري	جامعة غرداية	رئيساً
د/ صلاح الدين وانس	جامعة غرداية	مشرفاً ومقرراً
د/ بكير بو عروة	جامعة غرداية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1442-1443هـ /2021–2022م

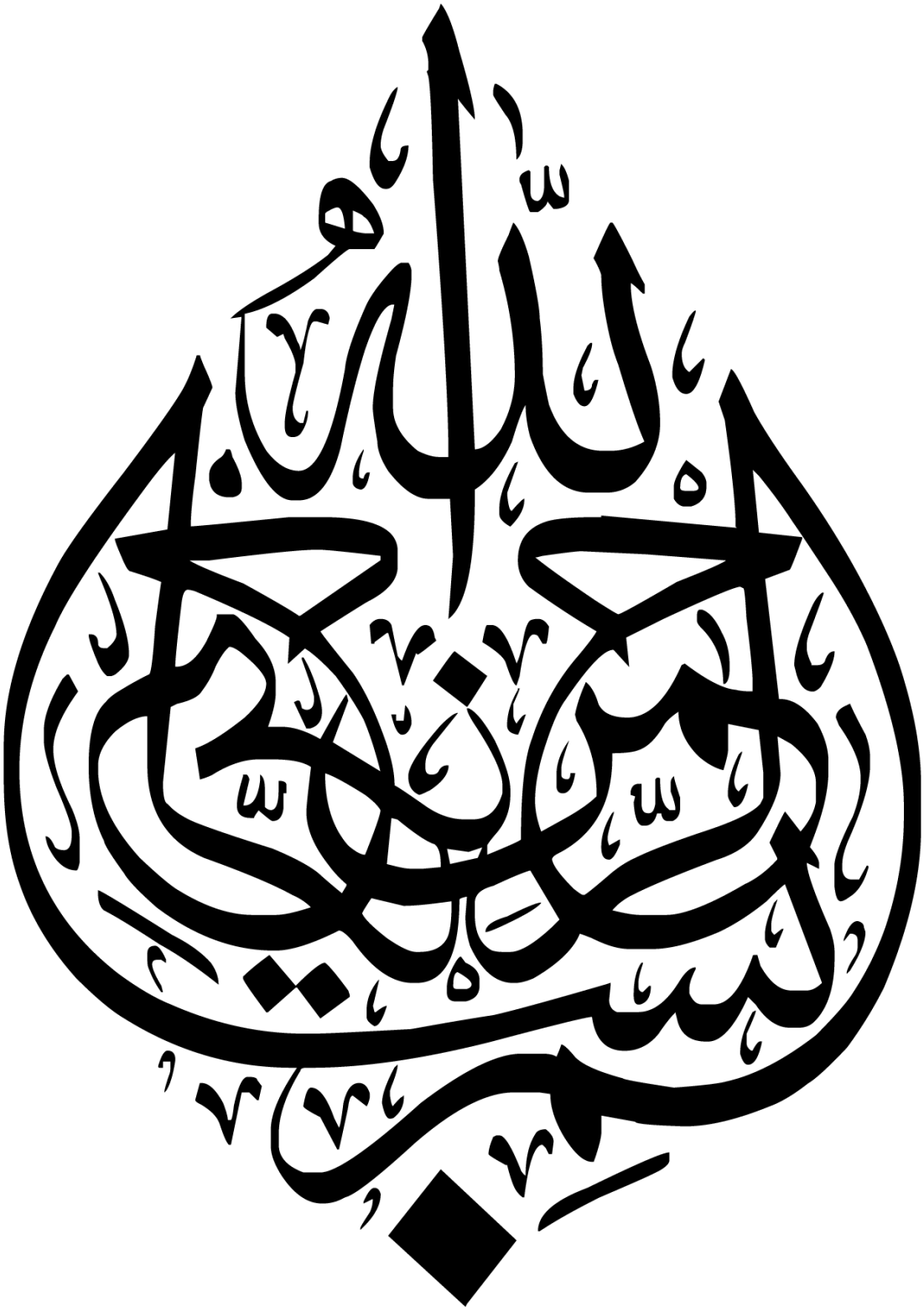

الإهداء

الاهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك،

ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك،

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك، فلك الحمد سبحانك.

إلى التي جعل الله الجنة تحت أقدامها وكانت كالشمعة تضيء لي حياتي وكانت دعواتها تشق لي طريقي إلى من حبها يملأ قلبي وهي سبب سعادتي و سر وجودي : "أمي الحبيبة"

إلى من علمني أن الحياة أخذ و عطاء وغرس في روح الأخلاق و دفعني إلى النجاح: "أبي الغالي" حفظه الله

إلى من قاسمني حب الوالدين شموع حياتي و مؤنسات أيامي إخواني و أخواتي

ربيعة، لويزة، طيب ، ابراهيم ،عبد المجيد

الى كتاكيت العائلة

فيروز، رحاب، أسامة ،عبدو ، سليمان

إلى أقاربي الأعزاء و إلى كل الأساتذة و الأفاضل

إلى صديقاتي ورفيقات الدرب

الطالبة حفصة

الإهداء

إلى من حملتني وهنا، ووضعتني وهنا، إلى مأمني وأماني، إلى من سهرت الليالي رفيقتي ومعلمتي،

إلى من علمتني الحنان والعطاء، إليك يا ملاكي في الحياة

أمي الحنون " فريحة "

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، الى الذي علمني العطاء بدون إنتظار، إليك يا من أحمل اسمك بكل إفتخار

أبي الغالي "بلحاج "

إلى شريك الحياة، ورفيق العمر، إلى سندي الذي لا يميل، اليك يا سكن الروح

زوجي "دويرم نايلي"

إلى ثمرات أبي وأمي، إلى من كان لهم بالغ الأثر في الكثير من العقبات والصعاب

إليكم يا من تسابقتم في دعمي واحدا تلو الآخر كل بإسمه

" إخوتي وأخواتي "

إلى " جدتي حفظها الله ورعاها "

إلى خالي وخالاتي أنار الله دروبهم ويسر لهم أمرهم كل بإسمه

إلى أساتذتي الكرام وأخص الذكر معلمي " قنيع لخضر "

إلى كل من مر بحياتي وترك لي كلمة طيبة وأثرا جميلا.

الطالبة منال

شكر وتقدير

لك الحمد ربنا يا من مننت علينا بنعمة العلم ويسرت لنا سبله،

ومن يعننا على تحصيله، وعلمتنا ما لم نكن نعلم، ثم الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى خير الأنام.

من باب من لا يشكر الناس لا يشكر الله، نتقدم بخالص الشكر إلى من جعلهم الله لنا سندا وعونا

بداية لا يسعني إلا أن نتقدم بالشكر وعظيم الامتنان والتقدير للدكتور: وانس صلاح الدين المشرف على البحث فقد لمسنا من الرعاية وحسن التوجيه وما قدمه لنا من علم غزير وخلق كريم سائلين المولى العلي القدير أن يجزيه عنا خير الجزاء وأن يبارك له في وقته وجهده.

إلى أساتذتنا وكافة من ساعدونا من في تحضيرها، كما نتوجه بخالص شكرنا وتقديرنا إلى كل من ساعد من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل.

وإلى كل من لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته وتوجهاته من اجل إتمام هذا العمل

قائمة الرموز والمختصرات:

الرمز	معنى الرمز
تح	تحقيق
ج	جزء
دط	دون طبعة
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
هـ	هجري

مقدمة

تعد سنة 609 هـ/ 1212م منعطفا حاسما في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي، إذ انهارت دولة الموحدين وظهر على أنقاضها الدويلات الثلاث؛ فظهرت دولة بني حفص في المغرب الأدنى ودولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط وبني مرين بالمغرب الأقصى، وسعت كل واحدة منها لبناء صرحها الحضاري على حساب الأخرى.

فمن الوهلة الأولى التي أعلن فيها الأمير العبد الوادي عن استقلال بني زيان عن الحكم الموحدي، سعى لتثبيت كيانها والذي لن يتم إلا بمساعدة العناصر الاجتماعية السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، كما عرفت تطورات على عديد الأصعدة، كان لا بد على الدارسين تناولها ومحاولة الإحاطة بها.

ومن هذا الأساس جاء موضوعي في إطار هذه المواضيع، وكان موسوما بـ:

"**المبادلات التجارية في الدولة الزيانية مع العالم المسيحي**"

❖ **حدود الدراسة:**

يندرج الموضوع الذي أنا بصدد دراسته والبحث فيه بالمبادلات التجارية في الدولة الزيانية مع العالم المسيحي. ويتمحور إطاره الزماني بين أعوام (633 - 898هـ / 1235م – 1492م) وهي أغلب فترة حكم الدولة الزيانية، أما الإطار المكاني فيشمل دول المغرب الإسلامي والأندلس.

❖ **أسباب اختيار الموضوع:**

تعددت بين الذاتية والموضوعية

- **الأسباب الذاتية:**

- ميولنا إلى هذا النوع من الدراسات والأبحاث التاريخية.
- أن عددا من المؤرخين الذين تناولوا تاريخ هذه الدولة الزيانية وركزوا في حديثهم على تاريخ هذه الدولة متناسين سياستها مع الممالك النصرانية والذي يشكل جزءا لا يستهان به من تاريخ هذه الدولة.

- **الأسباب الموضوعية:**

- أهمية الموضوع ورغبتي في كتابة تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، بطريقة ترقى إلى إعادة الدور قامت به الدولة الزيانية في هذا التاريخ.
- دراستي لبعض جوانب هذا الموضوع خلال مساري الجامعي كان له أثر في دفعي إلى التعمق فيه ومحاولة الإلمام به.

❖ **إشكالية الدراسة:**

إن الإشكالية التي يعالجها البحث ترتكز حول إبراز العلاقة بين الدولة الزيانية والمماليك النصرانية ، ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الرئيسية ومفادها:

كيف كانت طبيعة العلاقة بين الدولة الزيانية والمماليك النصرانية؟ وماهي المبادلات التجارية بينهما؟

وقصد فهم الإشكالية الجوهرية والإلمام بجوانبها المتعددة استلزم عليّ طرح مجموعة من التساؤلات الفرعية:

- ماهي علاقة الدولة الموحدية مع المماليك النصرانية ؟
- ماذا نقصد بالمماليك النصرانية ؟
- كيف كان قيام الدولة الزيانية وماهي العلاقة بينها وبين المماليك النصرانية ؟

❖ **شرح خطة الدراسة:**

وعليه فقد قسمنا موضوعنا حسب هذه العناصر إلى ثلاثة فصول عالجنا فيها جزئيات الموضوع فكانت كالتالي:

الفصل الأول: خصصناه لعلاقة الدولة الموحدية مع المماليك النصرانية، حيث تناولنا في المبحث الأول العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الدولة الموحدية والمماليك النصرانية، أما المبحث الثاني فقد تناولنا تعريف المماليك النصرانية، أما المبحث الثالث فقد تطرق فيه إلى سقوط الدولة الموحدية.

وأما **الفصل الثاني**: فقد عنوناه ب: قيام دولة بني عبد الواد، وقد قسمته إلى ثلاث مباحث. المبحث الأول الموسوم ب: جهود بني زيان في قيام دولتهم، والمبحث الثاني بعنوان: علاقات بني زيان الخارجية مع (بني مرين، وبني الأحمر، المماليك النصرانية)، أما المبحث الثالث فكان عنوانه: الأنشطة الاقتصادية للدولة الزيانية.

أما عن **الفصل الثالث** الموسوم بـ: العلاقات التجارية للدولة الزيانية مع المماليك النصرانية، قسمته إلى ثلاثة مباحث: المبحث الأول، بعنوان: الطرق و المسالك (البرية والبحرية)، ومبحث ثان بعنوان: الأسواق والمراكز التجارية والفنادق والقناصل، ومبحث ثالث بعنوان: المنتجات والمبادلات التجارية (الصادرات والواردات)، وفي **الخاتمة** حاولت الإجابة عن الإشكالية التي تم طرحها في المقدمة، وقد ضمنت البحث جملة من **الملاحق** التوضحية التي لها صلة وثيقة بالبحث.

❖ **أهمية وأهداف الدراسة:**

- **أهمية الدراسة:**

- تكشف هذه الدراسة التاريخية عن جوانب مهمة من الحياة الاجتماعية والثقافية للدولة الزيانية.
- تبيان أهمية العلاقات السياسية الزيانية حيال المماليك النصرانية وما رافق تلك العلاقة من مراحل مد وجزر، وتأثير على الخريطة السياسية والجغرافية.
- إبراز الدور الجهادي للزيانيين في مواجهة الممالك النصرانية، من خلال استعراض أهم المعارك والعمليات العسكرية التي قاموا بها على الأراضي الأندلسية بهدف الدفاع عن الأراضي الإسلامية.

- **أهداف الدراسة:**

- كشف النقاب عن علاقات الدولة الزيانية مع العالم المسيحي.
- إبراز الأنشطة الاقتصادية في الدولة الزيانية وجهود بني زيان في قيام دولتهم .

❖ **الدراسات السابقة:**

من بين الدراسات التي تناولت نفس موضوع بحثنا، وجدنا:

- حنان سلمي: **الأنشطة الاقتصادية في مدينة تلمسان خلال العهد الزياني (ما بين القرنين 97 هـ/ 13 15م)** وتعتبر هذه الدراسة سابقة لنفس موضوع دراستنا، وهي رسالة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث بجامعة المسيلة، نوقشت سنة 2019، وقد ركزت هذه المذكرة على الجانب الاقتصادي بشكل كبير دون ذكر المبادلات التجارية والاقتصادية التي كانت تقوم بها الدولة الزيانية مع محيطها الخارجي، سواءاً المغرب الأقصى أو العالم المسيحي في الضفة الغربية المتمثلة في ممالك الأندلس المسيحية، وقد أوفت هذه الدراسة بشكل مستفيض فيما يتعلق في الأنشطة الاقتصادية التي كانت منتشرة في تلك الفترة داخل الدولة الزيانية ما بين القرنين 13 و15 ميلادي.
- عمر بن قايد، **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا وإسبانيا،)** رسالة ماجستير، ركز الباحث في رسالته هذه على الجوانب السياسية للمغرب الأقصى مع دول غرب أوروبا خصوصاً فرنسا وإسبانيا، ولم يتطرف إلى الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين هذه الدول والمغرب الأقصى، كما أنه لم يتطرق إطلاقاً إلى المبادلات الاقتصادية لدولة الزيانية وإنما عرج بشكل مختصر إلى بعض التأثير السياسي لدول غرب أوروبا على الدولة الزيانية.
- طاهري أحمد، **الأزمات الاقتصادية وتأثيرها على مجتمع المغرب الأوسط في العهد الزياني وعلاقته بالمبادلات التجارية مع الغرب المسيحي**، تناولت هذه الدراسة الأزمات الاقتصادية التي عرفها المجتمع المغرب الأوسط في العهد الزيانية (1236م-1556م) باعتبارها من أبرز المظاهر التي يمكن من خلالها الوقوف على درجة فعالية الفكر الاقتصادي الزيانية في توجيه الاقتصاد، لكن هذه الدراسة لم تفصل بشكل مستفيض في تأثير هاته الأزمات الاقتصادية في عملية المبادلات التجارية مع العالم المسيحي، وقد استفدنا منها كثيراً في عرض الحال الاقتصادي والأنشطة الاقتصادية التي ميزت الدولة الزيانية في تلك الفترة.
- فرحات محمد إبراهيم بكار، الأنشطة الاقتصادية في مدينة تلمسان خلال العهد الزيانية ما بين القرنين (7 و9 هـ/ 13و15م)، تناولت هذه الدراسة النشاط الاقتصادي في تلمسان خلال

العصر الزيانية، من خلال إبراز أهم النشاطات الزراعية باعتبارها قطاع رئيسي في توجيه الاقتصاد، وهذه الدراسة لم تتطرق بشكل مفصل إلى المبادلات التجارية والاقتصادية بين الدولة الزيانية والعالم المسيحي المتمثل في ممالك إسبانيا والبرتغال لكونها تطرقت بالتفصيل إلى الوضع الاقتصادي الداخلي لدولة الزيانية.

❖ **أهم مصادر ومراجع الدراسة:**

أولا: المصادر.

- القيرواني أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن أبو زيد، **النوادر والزيادات علي ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، فقد أفادنا في الفصل الثاني في الأنشطة الاقتصادية للدولة الزيانية.

المراكشي، محي الدين عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، أفادنا في الفصل الأول والثاني.

- ابن خلدون **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، وفد أقادنا هذا المصدر المهم في المبحث الأول بالفصل الثاني.

ثانيا: المراجع.

- عبدالله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا**، مكتبة الخانجي القاهرة، 1997م وقد أفادنا هذا المصدر في تعريف المماليك النصرانية في المبحث الثاني بالفصل الأول.
- محمد لمرالي علوي: "**الإطار العام للعلاقات المغربية مع جمهوريات المدن الإيطالية**،" وقد أفادنا في المادة المتعلقة بالفصل الأول.
- مختار حساني: **تاريخ الدولة الزيانية** أفادنا هذا المرجع في المبحث الثالث بالفصل الثاني.

❖ **المنهج المتبع:**

اعتمدنا في إنجاز دراستنا هذه على المنهجين التاريخيين:

- المقارن القائم على جمع المادة الخبرية من المصادر، ومقارنتها، ثم ترتيبها ترتيبا يتوافق مع جزئيات ومفاصل الدراسة.

- الوصفي القائم على وصف الأحدث والوقائع التاريخية، وكشف حيثياتها.

❖ **صعوبات البحث:**

لا يخلو أي بحث من صعوبات وعراقيل تواجه صاحبه. ومن أبرز الصعوبات التي واجهتنا في إنجاز دراستنا هذه الآتي:

- واجهتنا بعض الصعوبات في فهم المادة المصدرية، خاصة في بعض المصطلحات والنصوص الدقيقة.
- اتساع المادة وتشعبها وتناثرها في المصادر جعلنا نلجأ كثيرا إلى المراجع من أجل الوصول إلى الجزئيات.
- صعوبة تحديد الإطار الزمني لبعض الأحداث التي تمّ ذكرها في المصادر.

الفصل الأول: علاقات الدولة الموحدية مع المماليك النصرانية

المبحث الأول: العلاقات السياسية والاقتصادية والموقع الجغرافي

المبحث الثاني: المماليك النصرانية تعريف أهم الملوك النصرانية

المبحث الثالث: سقوط الدولة الموحدية

الفصل الأول: علاقات الدولة الموحدية مع المماليك النصرانية.

المبحث الأول: العلاقات السياسية والاقتصادية والموقع الجغرافي:

كان التبادل التجاري والبحث عن الأسواق لتصدير منتوجاتها بين الضفتين الشمالية والجنوبية أهم ما ميز النشاط الاقتصادي بين الدولة الموحدية والعالم النصراني خلال العصر الوسيط، وبهدف تنظيمها عملوا على عقد مختلف المعاهدات التجارية بهدف تسهيل الحركة التجارية في الحوض الغربي للمتوسط، وقد عرفت العلاقات السياسية بشكل عام، انطلاقتها الفعلية منذ بداية القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي[1]،خاصة لما كان الجهاد البحري[2] والقرصنة لها دور خطير في توتر العلاقات السياسية بين هذه الأطراف، لذلك استعملت السفارات والبعثات الدبلوماسية بينهما، لتهيئة جو ملائم لتعزيز العلاقات التي امتزجت فيها الدبلوماسية بالتجارة وبمشاكل القرصنة، اقتضت

---

[1]- محمد لمرابي علوي : **الإطار العام للعلاقات المغربية مع جمهوريات المدن الإيطالية**، البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – سلسلة الندوات رقم:7، المحمدية، المغرب، د– ت، ص 209 .

[2]- الجهاد البحري: "إن الحديث عن الظروف التاريخية التي أفرزت ظاهرة القرصنة على امتداد سواحل المغرب الإسلامي كشكل من أشكال الدفاع الشعبي تارة، ومظهر من مظاهر الرفض للهيمنة، خاصة مع ظهور الكيانات السياسية الجديدة بعد سقوط الموحدين، تحولت الثغور الإسلامية في المغرب من الهجوم إلى الدفاع، وبالمثل برز في هذا الإطار قراصنة النصارى، واعتبرت الكتابات التاريخية الإسلامية إزاء الحرب البحرية ضد السواحل النصرانية بـ "الجهاد،" من اجل الذود عن راية الإسلام ومصالح الأمة من جهة، ورغبة في الإضرار بالعدو وتحقيق الغنيمة على حسابه، في المقابل نجد أن مصطلح الجهاد عرفت تفاوتا في معناها، فاكتسب مصطلح قرصنة (course) لدى أسداله على الجهاد البحري صفة الحرب القانونية، مرادفا للصوصية غير المشروعة لدى النصارى، وينعت أحيانا بلص البحر(Pirate) لتهديده لطرق المواصلات البحرية، بغية الاستحواذ على متاع السفن، وهذا التعريف ينطبق على المسلمين والنصارى، وعرفت بجاية نشاط كبير في عملية القرصنة والتي لأجلها توافدت عليها البعثات لعقد المعاهدات وافتداء الأسرى، ينظر: إبراهيم سعيود، **"القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة – القرصنة الإيطالية نموذجاً–"**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد:11، 2011، ص 148–147 حسن أميلي، **مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في العرب الإسلامي**، دوية كان التاريخية، العدد43، الكويت، 2019م، ص 111- 112، صالح بعيزيق، **بجاية في العهد الحفصي – دراسة اقتصادية واجتماعية–**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006، ص 285-284.

المتبادلة بين البلدين إلى تبادل السفارات[1]، ومن جهة أخرى تحكمت مجموعة من العوامل في تلك العلاقات الدبلوماسية والتجارية خلال القرنين السابع والثامن الهجريين منها :

أولا: القرب الجغرافي.

إن أهم ما يميز الدولة الموحدية موقعها الاستراتيجي الهام، الذي احتوى على شريط ساحلي كبير "القريب للضفة الجنوبية للبحر المتوسط خاصة إفريقية، التي كان له دور بارز في ارتباطها بعلاقات تجارية بينها وبين الدول النصرانية ،فضلا عن الصلة الوظيفية بين التجارة الصحراوية والتجارة البحرية التي تعتبر من أهم السمات التي لازمت العصر الوسيط، ذلك أن كلا منهما مرتبط بالآخر يؤثر ويتأثر به سلبا أو إيجابا، وهذا ما جعل الدولة الموحدية تعد وسيطا بينه وبين العالم الخارجي ويصبح قبلة للتجار النصارى، ولهذا رما التجار بأبصارهم إلى الدولة الموحدية وبادروا إلى عقد معاهدات سلمية وتجارية مع سلاطينهم، وهو ما جعلها تتمتع بالكثير من الحرية والاستقلالية الذي منحها فرصة الاحتكاك بموانئ الدولة الموحدية ،وإقامة علاقات تجارية تمثلت في جلب السلع من البلاد الإسلامية وتسويقها في مناطق الوسط والشمال الأوروبي ومن ثم تصدير المنتجات الأوربية إلى البلاد الإسلامية والتي يأتي في مقدمتها العبيد والسلاح[2].

ثانيا: ظروف سياسية.

كانت الدولة الموحدية قوة سياسية واقتصادية في الحوض الغربي المتوسط، خلال القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي، حيث تمكنت من بسط نفوذها على جميع بلاد المغرب الإسلامي والعدوة الأندلسية إلا أنه تغيرت موازين القوى خاصة بعدما تعرض الموحدين لهزيمة العقاب سنة 609هـ/1212م، مما أدى إلى تدهور هيبة دولتهم وتمزقها لتحل محلها كيانات سياسية جديدة في

---

[1]- عمر بن قايد: **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية(فرنسا وإسبانيا)**، رسالة ماجستير غير منشورة، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 2011- 2010، ص 67 .

[2]- بغداد غربي، **العلاقات التجارية للدولة الموحدية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2015 ، ص 169-170.

شمال إفريقيا والأندلس، هذا الوضع الجديد في بلاد المغرب والأندلس كان يشوبه عدم الاستقرار الداخلي، وكان لذلك أثره السلبي على النشاط الاقتصادي وعلى الحركة التجارية الداخلية، الأمر الذي دفع بهذه الكيانات السياسية الجديدة إلى الاعتماد على التجارة البحرية، وهو ما مكن بعض القوى النصرانية من الحصول على امتيازات وتسهيلات في مراسي بلاد المغرب.

كما كان للأوضاع الداخلية المضطربة التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي، أحد أهم الأسباب التي جعلت "الفقهاء يسمحون للحجاج بركوب السفن الأجنبية للذهاب إلى المشرق إلا دليل على السفر في البحر في مراكب النصارى ويكرونها للمسلمين من إفريقية إلى الإسكندرية ذلك"، كما استعمل سكان المغرب الإسلامي في تنقلاتهم نحو المشرق السفن النصرانية إذ أورد الونشريسي: "جرت العادة عندنا السفر في البحر في مراكب النصارى ويكرونها للمسلمين من إفريقية إلى الإسكندرية".[1]

ثالثا: أسباب اقتصادية:

في الوقت الذي استطاعت الدولة الموحدية أن تفرض نفسها تجاريا في منطقة الحوض الغربي المتوسط، يلاحظ أنه في نفس الفترة بدأت تعرف الدول النصرانية" نهضة اقتصادية كبيرة وانبعاثا في الحياة الثقافية، وذلك بانحسار الإقطاع فيها وتحرر اليد العاملة لصالح الإرهاصات البرجوازية، بما تعكسه من وحدة وقوة على الصعيد السياسي، هذه الأخيرة أخذت تتطلع نحو النفوذ والسلطان فانتعشت لذلك الحياة الاقتصادية، وأصبحت التجارة تشكل حجر الزاوية في هذه النهضة، حيث غذت أساطيل الجمهوريات الإيطالية منها تجوب البحر المتوسط طولا وعرضا، وأفضى ذلك إلى تكوين فائض وجب البحث عن تسويقه[2].

---

[1]- أبو العباس الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي،1981، ج1، ص 438/436 .

[2]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **أوروبا العصور الوسطى–النظم والحضارة–**، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1959 ج 2 ، ص93.

المبحث الثاني: تعريف أهم الملوك النصرانية.

شهدت بلاد الأندلس تغيرات سياسية كثيرة وفي فترات ليست متباعدة ظهرت حروب الاسترداد، وانكماش ملك المسلمين بها واتساع ملك المسيحيين على حسابها من جهة أخرى، فعلى أخر أيام الموحدين كانت مقسمة إلى دول أو إمارات، فوجدت الشبه الجزيرة الأيبيرية نفسها تتعرض لنفس المصير ، الذي عرفته الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي حتى أصبحت خلال القرن الثاني عشر الميلادي خمس ممالك وهي: قشتالة وأراجون وليون و نافار والبرتغال[1].

لم تلبث مملكة ليون أن اندمجت مع قشتالة سنة (627 هـ /1230م) بعدما اعتلى الفونسو التاسع ملك ليون عرش قشتالة باسم فرناندو الثالث القديس (1230-1250م) أما مملكة نافار فقد اختفت سنة 1234م لتنضم إلى قشتالة وأراجون والبرتغال وحكام غاليا الجنوبيين وهكذا أصبحت الممالك التالية: قشتالة وأراجون وليون[2].

أولا: مملكة قشتالة.

مملكة قشالة باللغة بالإسبانية (Remo De Gasilla) باللاتينية (Regum Gastella) كانت واحدة من ممالك القرون الوسطى في شبه الجزيرة الإبيرية، برزت ككيان سياسي مستقل في القرن التاسع الميلادي، وكانت تسمى مقاطعة كاستيا (قشتالة)[3].

وتعد قشتالة أكبر الممالك النصرانية مساحة، وأوفرها قوة وموردا تقع شرقي الجزيرة جنوبي جبال البرتات، وكانت الممالك الأخرى تشعر بالنفور منها لما يدعيه ملوكها من السيطرة، من أبرز ملوكها، الفونسو العاشر الملقب(الحكيم) دامت فترة حكمه من (1252-1284م)، وتميز عهده بالاستقرار الداخلي والإصلاحات. (**انظر الملحق رقم 02**)

---

[1]- كمال السيد أبو مصطفى، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، 2006م، ص 218.

[2]- المرجع نفسه، ص 260.

[3]- Abbé Barges: **Tlemcen Ancienne Capitale Du Royaume De Ce Nom**, Sa Topographies, Son Histoire, Paris, 1859 P145

وفي أواخر عهده ثار عليه ابنه سانشو الذي استلم الحكم بعد وفاته سنة (683 هـ/1284م)، إلا أن الملك الجديد لم يسلم أيضا من ثورات النبلاء ، فلجأ إلى عقد صلح مؤقت مع مملكة غرناطة بهدف التفرغ لحل مشاكله الداخلية، إلا أنه توفي سنة(695هـ/1296م). لم تتوقف الفوضى في عهد خليفته فرناندو الرابع، مما اضطره إلى الفرار مع أمه إلى إشبيلية، وعندما عاد ثانية أراد تسيير شؤون الدولة وساءت علاقاته مع غرناطة لما توفي خلفه على العرش القشتالي ولده الفونسو الحادي عشر(751هـ/ 1350م) فتولى الوصاية عليه الدون بيدرو والدون خوان من النبلاء، وعندما كبر الطفل قام بقمع الأشراف بالقوة ، فعاشت قشتالة أجواء من القمع والانحلال السياسي والاجتماعي.

سار بيدرو الثاني (1350-1368م)ابن الفونسو الحادي عشر على خطى والده في التعامل مع الأشراف و الرعية على حد سواء، واستعان باليهود لتحقيق ذلك، ولكنه ما لبث أن خلع عن عرشه سنة (769هـ /1368م) على يد الكونت هنري (ت781هـ/1379م) أحد إخوته اللاشرعين، فعاد للأشراف كيانهم واستقرت أحوال البلاد القشتالية[1].

ثم تولت تسيير أمور المملكة إيزابيل (1474-1504م)، وكانت إيزابيل قد تزوجت سنة (844هـ/1479م) ابن عمها فرناندو الذي ورث عرش أراغون باسم فرناندو الخامس وأصبحت قشتالة أعظم ممالك إسبانيا وأكبرها، فشملت بذلك شريطا شاسعا يمتد من وسط الجزيرة بين مملكة البرتغال غربا وأراغون شرقا، ملتفا حول مملكة غرناطة من الشمال الشرقي والغرب، ومن الواضح أن نشأة قشتالة ارتبطت في التاريخ بالصراعات الدينية التي نشأت بين المسلمين والمسيحيين بشبه الجزيرة الأيبيرية، مما ترك أثره الواضح في نظام فالملوك وصلوا إلى مكانتهم كقادة حربيين وليس كزعماء

[1]- Atallas Dhina ; **Les De L'occident Musulman Au 13 et 15 Siècles** ; Office De Publication; Alger,p 270

سياسيين، ومن ثم ظلت هذه الصفة غالبة عليهم وظلت المملكة الأكبر والأعظم قوة خلال القرن الرابع والخامس عشر الميلاديين.[1]

ثانيا : مملكة أراغون:

ثاني مملكة في شبه الجزيرة الأيبيرية من حيث المساحة، تقع أراغون[2] شرقي الجزيرة الأيبيرية جنوبي جبل البرتات، تألفت من اتحاد ثلاثة أقاليم هي أراغون وقطلونيا وبلنسية، وذلك في سنة (533هـ/1138م) على يد الكونت (رامون برنجير الرابع) أمير برشلونة، لكن لم يكن الاتحاد بين هؤلاء الأجزاء الثلاثة متينا بسبب تمسك كل واحدة منها بقوانينه ونظمه وعدم رغبته في التخلي عنها في سبيل وحدة المملكة.

يعد الملك بيدرو الثاني (1196-1224م) أحد أهم ملوكها في الربع الأول من القرن الثالث عشر ميلادي، وقد عني خلال فترة حكمه بتنظيم شؤون مملكته ومحاربة الأشراف، وبعد أن قتل خلفه ابنه خايمي (1224-1274م) فتمكن من توسيع نفوذ مملكته من خلال احتلاله لجزيرتي ميورقة ومنورقة الإسلاميتين سنة (620هـ/1223م)، وبلنسية سنة (635هـ /1238م) ثم دانية ولقنت وشاطبة واريولة خلال سنوات (1244-1246م) وعلى اثر ذلك سمي (بالفاتح).[3] اعتلى بيدرو الثالث عرش أراجون من سنة (1274-1285م)،[4] وخلال عهده امتدت السلطة الأرجوانية إلى صقلية وجنوبي إيطاليا (مملكة نابل)، وأنحاء بروفانس جنوبي فرنسا ولكن ما لبثت أراغون أن تعرضت لموجة عنيفة من الثورات من جانب الأشراف والنبلاء وذلك بعد وفاة بيدرو الثالث وصعود

---

[1]- عبد الله عنان، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2009، ص 251.

[2]- مملكة أراغون بغين معجمه مضمومة وهم القطلان، وتقول العامة الكتيلان، ويعرفها الحميري "اسم غرسية بن شانجه، تشمل على بلاد ومنازل وأعمال" أنظر الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار دار الجيل، بيروت، لبنان 2008، ص 12.

[3]- على حسن الشطاط، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001، ص 63 .

[4]- المرجع نفسه، ص 61-62.

الفونسو الثالث(ت 690هـ/ 1291م) إلى سدة الحكم، إلا أن خليفته خايمي الثاني (1327-1291م) استطاع إعادة الأمور الداخلية إلى نصابها و تحسين العلاقات مع فرنسا[1].

اصطدمت مملكة أراجون مرة أخرى بالخلافات والثورات من جانب النبلاء في عهد الملك بيدرو الرابع (1336-1387م)، إلا أن الملك الأرجواني استطاع سحقهم في موقعة ابلة سنة (750هـ/1349م)، مما مكنه من توطيد أركان الدولة وتعزيز سلطة القانون فعمل على استقلال القضاء عن السلطة، وعلى الصعيد الخارجي تمكن بيدرو الرابع من انتزاع صقلية من أيدي القشتالين سنة (779هـ/1377م)[2].

تولى الفونسو الخامس سنة(819هـ/ 1416م) حكم مملكة أراجون إلا أنه لم يحكم فعليا سوى صقلية ونابل، كما أعطى لأخيه خوان الثاني (1416-1458م) حكم أراجون بشكل فعلي فحكمها بالقوة والصرامة، ومن أهم أعماله ضم جزيرة سردينيا إلى مملكته، وقيامه بتزويج ولده فرناندو بالأميرة إيزابيلا مما مهد لتوحيد قشتالة وأراجون ضمن إطار إسبانيا النصرانية المتحدة سنة (884هـ/ 1479م) فكان لذلك أثر كبير على تاريخ إسبانيا.[3]

ثالثا: مملكة ليون.

وهي ثالث الممالك الإسبانية، تتربع على مساحة صغيرة، لكن بالرغم من ذلك كانت قوية وراء جبالها الوعرة وحرصها الدؤوب على الاستقلال،[4] من بين ملوكها – فرناندو- الذي تعرفه الرواية العربية بالببوج والذي كان مترددا خلال فترة حكمه بين محالفة الموحدين وبين خصومتهم إذ بوفاة ألفونصو ريموندیس سنة (552 هـ/ 1157م) قسمت مملكته بين ولديه، فاختص الأكبر وهو سانشو بملك قشتالة، أما الأصغر وهو فرناندو فاختص بملك ليون، وتسمى المنطقة ببلاد البشكنس في

---

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور، **أوروبا في العصور الوسطى النظم والحضارة**، مرجع سابق، ص 546.

[2]- ابن الخطيب لسان الدين، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ص 574-577.

[3]- عبد الله عنان، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مرجع سابق، ص 251.

[4]- شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية**، الطبعة الأولى، الرحمانية، مصر، 1936، ص 238 .

التواريخ العربية وعاصمتها بنبلونة، واستقلت وانفصلت عن قشتالة وفقا لوصية القيصر ألفونصو ريمونديس وكانت في تلك الأثناء ضعيفة تشق طريقها بصعوبة، ولم يكن لها تأثير كبير في سير الأحداث الهامة في شبه الجزيرة الإبيرية وكان التوتر يسود بينها وبين قشتالة.[1] **(انظر الملحق رقم 03)**

وفي سنة (593هـ/ 1197م) قام كل القشتاليون والبرتغاليون بغزو أراضي ليون، ورأى ألفونصو التاسع عندئذ أن يعود إلى مسالمة قشتالة، وأن يعيد معها أواصر المودة والتفاهم، وقد تحقق ذلك بزواجه من الأميرة برنجيلا ابنة ألفونصو الثامن، لكن البابوية اعترضت على هذا الزواج الثاني لملك ليون وطالبت بإلغائه بسبب القرابة، وظلت الأمور تتأرجح بين الخصومة والمسالمة، ونظرا لما قامت به البابوية من جهود متوالية في التقريب بين الملوك النصارى ، فقد نجح ملك قشتالة ألفونصو الثامن سنة (604هـ/ 1208م)، من إقناع خصمه القديم ألفونصو الثاني بإحلال التفاهم والوحدة محل الفرقة والخصام فكان من نتائج ذلك أن وقف إلى جانبه في معركة حصن العقاب (607هـ/ 1212م)، وعند وفاته عام (627هـ/1230م) غزا ابنه فرناندو الثالث ليون، وضمها إلى ملكه، ليصبح أول من يوحد ليون قشتالة منذ وفاة ألفونسو السابع عام (552هـ/ 1157م) غير أنه بعد وفاة سانشو الرابع عام (695هـ/1296م) أعلن شقيقه جون القشتالي استقلال مملكة ليون، لكن ذلك لم يستمر سوى لخمسة أعوام حيث توحدت المملكة مجددا مع قشتالة عام (700هـ/ 1301م)[2].

المبحث الثالث: سقوط الدولة الموحدية

كانت دولة الموحدين دولة قوية مترامية الأطراف عظيمة الأركان، تأسست في بلاد المغرب الإسلامي واستطاعت أن تحافظ على استمرارية وحدة ترابها قرابة القرن ونصف، كانت تمتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والبحر الأبيض المتوسط والأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا سادها

[1]- عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا**، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص 307.

[2]- المرجع نفسه، ص 25.

نظام إداري مركزي فقد أصبحت تمثل قوة سياسية فاعلة وتتملك ترسانة عسكرية قوية في غرب البحر المتوسط، في الوقت الذي كان العالم الإسلامي يعاني من وطأة الحروب الصليبية.

ساهم الموحدون في رد العدوان الصليبي على بيت المقدس ، إلى جانب إخوانهم في المشرق الإسلامي غير أنه مع مطلع القرن السابع الهجري الموافق للثالث عشر الميلادي عرفت الأوضاع تغيرا فظهرت عوامل الضعف على الدولة الموحدية مع مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي حيث بدأ فصل جديد من فصول التاريخ المغربي بظهور ثلاث دول مستقلة على أنقاضها وهي: الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى كان أولها دولة بني زيان سنة (633 هـ/1235م) وقد انهارت دولة الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي بفل عدة عوامل من بينها الحركات الانفصالية كتمرد بنو غانية أمراء ميورقة، الذين عبروا البحر بأساطيلهم إلى بجاية واستولوا عليها سنة (581هـ/1185م) في عهد دولة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور ابن يوسف وخلعوا طاعة الموحدين ودعوا للخلافة العباسية ببغداد[1].

ولما تولى الحكم الموحدي محمد الناصر بن يعقوب المنصور، ازداد خطرهم مما مكنهم من الاستيلاء على كثير من مناطق المغرب الأوسط، وقد استلزم ذلك طاقات بشرية ومادية لمواجهتهم وقد تعرضت المدن المغربية الساحلية كذلك لهجمات عسكرية من جانب الممالك النصرانية[2]، والجنوية فقد شدد الجنويون الحصار على سبتة ونصبوا عليها المجانيق وآلات الحرب حتى اضطر أهلها إلى مهادنتهم سنة (633هـ/ 1235م) ثم عزم ملك قشتالة غزو المغرب الإسلامي غير أن القشتالين اكتفوا بالانتصار البحري الذي أحرزوه على المغاربة ولكنهم عادوا إلى مهاجمة سبتة فدخلوها وخربوها

[1]- المراكشي، **المعجم في تلخيص أخبار المغرب**، نشر محمد سعيد، محمد العلمي، دار الاستفاقة، (القاهرة)، 1963م، ص230.

[2]- عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، مرجع سابق ص 88.

وكان ذلك مع نهاية عهد الدولة الموحدية في بلاد المغرب وقد أكد ابن خلدون في كتابه العبر هذه الحادثة قائلا": فعانت الثغور وضعفت الحامية وتهاون الموحدون، بأمرهم وفشلت ريحهم"[1].

وعندما هلك المنتصر عين ابن جامع أبا محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن ملكا تمرد أبو محمد عبد الله يعقوب بن الملقب بالمخلوع المنصور في مرسية على السلطة الجديدة وتسمى بالعادل وساعده في ذلك كره الناس للوزير ابن جامع، مما أدى إلى حدوث انشقاق في صفوف الموحدين، وقد تمسك بطاعة المخلوع كل من عبد العزيز شقيقه وأبا زيد ابن أبي عبد الله شقيق البياسي صاحب بلنسية وشاطبة ودانية. وعندما رأى أبو محمد البياسي أخاه أبا زيد قد تمرد على العادل وتمسك بطاعة المخلوع، توقف عن بيعة العادل وقمع التمرد، فاستنصر البياسي سنة (622هـ/1225م) ألفونسو التاسع ملك ليون (627هـ/ 1230م) على أن يتنازل له عن بياسة[2].

وقد ندم الموحدون على فعلتهم هذه بعد مبايعة أهل الأندلس لأبي العلاء إدريس باشبيلية، فقاموا بمبايعة يحي ابن الناصر بن المنصور وكان سنه يومئذ ست عشرة سنة مما دفع بالمأمون إلى طلب المساعدة من ملك قشتالة فرناندو الثالث على أن يكون للأخير عشرة حصون وأن تبنى للنصارى كنسية في مراكش، فإذا أسلم أحد من الروم فلا يقبل منه، وإذا تنصر أحد من المسلمين فليس لأحد عليه من سبيل، ليدخل المأمون مراكش بمساعدة النصارى سنة (626هـ/1229م)، وتم لهم ما اشترطوا عليه، ولم يبق أمام يحي بن الناصر سوى الفرار إلى خارج إلى جبل تينملل بمراكش، الأمر الذي سمح للمأمون من الانتقام من الموحدين مرتكبا مجزرة شنيعة في حق أشرافهم وشيوخهم ،ولم يسلم منها حتى الصغار فقتل منهم أربعة ألاف وستمائة نفر[3].

---

[1]- عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، المرجع نفسه، ص 89

[2]-Duforc, **Espagne et catalane et le Maghreb au xlll et xlv siècle** ,paris, 1965 p 81

[3]- عبد الواحد بن عمر بن أبي حفص الهنتاني، **مؤسس دولة الحفصين في إفريقيا الشمالية**، ولي تونس من قبل الموحدين سنة 603 هـ/1206م إلى أن توفي سنة 618 هـ/1221م، انظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار النشر الإسلامية، ج4، بيروت، لبنان، 2019، ص 153.

بعد هلاك المأمون في أواخر سنة (629هـ/1232م)، بويع ابنه عبد الواحد صاحب الرابع عشر سنة بالحكم ولقب بالرشيد (640هـ/1242م)، ولم تستقر الأوضاع في دولته إلى أن مات غرقا في صهريج سنة (640هـ/1242م)، ليخلفه أخوه علي بن المأمون بن المنصور الملقب بالسعيد بتعيين من أبي محمد بن وانودين، وقد أساء السعيد إلى شيوخ الموحدين بمصادرة أموالهم وجعلها له، ثم انشغل خلال حكمه في مقارعة بني مرين وبني زيان، إلى أن قتل سنة (646هـ/1248م) على يد بني زيان ليتولى الحكم بعده عمر المرتضى، واستمر حكمه حتى سنة (665هـ/1266م) حين نازعه[1] في الأمر أبو العلاء إدريس بن محمد الملقب بأبي دبوس الذي تسمى بالواثق بالله، وهو آخر ملوك الموحدين، إلى أن قتل على أيدي بني مرين في أول محرم سنة (668هـ/ 1269م) وكان موته إيذانا بنهاية الدولة الموحدية[2].

تعرضت دولة الموحدين لموجات متتالية من الكوارث الطبيعية، وباء الطاعون الذي اجتاح المغرب العربي والأندلس عام (610 هـ/1213م)، واجتاحت الجراد المغرب العربي في عامين وتركت جفافاً شديداً، وتعرضت تلمسان في عام (626 هـ/1229م)، حدث فيضان كبير أدى إلى تدمير أسواره ومنشآته ، ثم عاد الوباء مرة أخرى في عام (635هـ/1238م) إلى بلاد المغرب العربي وأدى إلى وفاة شخص، عدد كبير من السكان حتى دفن أكثر من 100 شخص في حفرة واحدة ، وفي عام (646 هـ/ 1248م) اندلعت الحرائق في تلمسان، وكل ذلك صاحب أسعار باهظة للغاية وظروف اقتصادية صعبة للغاية ، حيث توقفت الأنشطة الزراعية، وتم تدمير المنشآت الصناعية والإنشائية وانتشر الدمار في معظم المدن المغاربية، وفي نفس الوقت ثارت القبائل المختلطة بقيادة مسعود بن حميدان في عهد الخليفة الراشد.

[1]- ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، المترجم: غير موجود، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، 1972م، ص 251.

[2]- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، مرجع سابق، ص 153.

(632هـ/1234م) استولت على العاصمة مراكش، الأمر الذي تطلب جهودًا كبيرة لقمع الثورة، أما الخلافات على الاستقلال فكانت في بداية عهد الخليفة الموحد المنتصر يوسف بن الناصر.

تأخر البيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص (618 هـ/1221م)، والي الموحدين على إفريقية احتجاجًا على حداثة عمر الخليفة، ثم عاد الحفصيون وبايعوه بعد ذلك، مداخلة الوزير ابن جامع، وكانت هذه أولى بوادر التمرد الحفصي في المغرب الأدنى على الحكومة المركزية، إلى عام (627هـ/1230م)، عندما كان الأمير أبو زكريا بن الشيخ أبي محمد بن أبي حفص الهنطاني. (647هـ/1250م) طغى على إفريقية وعزل طاعة الموحدين، في عام (635 هـ/1237م)، استقل محمد بن يوسف بن الأحمر في مملكة غرناطة عام (671 هـ/1272م)، ففصلت آخر الأراضي الإسلامية المتبقية في الأندلس عن جسد دولة الموحدين[1].

وتعتبر معركة العقاب التي وقعت سنة (609هـ/1212م) من أهم المعارك التي انهزم فيها الموحدون، وكان ذلك في أواخر عهد الخليفة الموحدي محمد الناصر بن يعقوب المنصور أمام ملك قشتالة الفونسو الثامن الذي أراد أن ينتقم من هزيمته في معركة الأرك بالأراضي الأندلسية سنة (591هـ/1195م) ذلك أنه عندما بلغ الخليفة الموحدي ما تعانيه ثغور الأندلس وأهلها وخاصة حصون بلنسية من اعتداءات من قبل النصارى و على رأسهم الملك القشتالي المذكور سنة (606-605هـ/1209-1208م)، عزم على نجدتها مستعينا بالشيخ أبي محمد بن عبد الواحد بن أبي حفص (618هـ/1221م) صاحب إفريقيا، إلا أن الأخير رفض[2].

خرج الناصر من مراكش سنة (607هـ/ 1211م) بعد أن اكتملت لديه الحشود وبلغت ستمائة ألف مقاتل، حتى انتهى إلى قصر المجاز ثم خرج بنفسه إلى ميدان الجهاد في الأندلس، حيث قسم الجيش إلى خمس فرق وأمر كل منها أن تنزل بناحية[3].

---

[1]- خير الدين الزركلي، الأعلام، المرجع نفسه، ص 154.

[2]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، المصدر السابق، ص 234.

[3]- عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، مرجع سابق، ص 90.

وفي أوائل صفر من سنة (608 -1112م) مخرج الناصر من إشبيلية غازياً بلاد قشتالة وهناك قام الجيش الإسلامي بمحاصرة حصن شلبطرة، ونصبت المجانيق حوله ولكنه استعصى عليه الأمر، واستمر الحصار لمدة ثمانية أشهر إلى أن وقع صلحا في سنة (608هـ/ 1212م) مما أدى إلى إنهاك الجيش واستنزاف طاقاته، ومما الوضع سوءا قيام مفرزة من الجيش الموحدي بمهاجمة قلعة أخرى وهي قلعة رباح بقيادة أبي حجاج يوسف بن قادس إلا أن النصارى سرعان ما استغلوا ضعف وقلة حامية القلعة فحاصروها وضيقوا الخناق عليها فكتب ابن قادس للخليفة الناصر يطلب منه العون، ولكن الوزير ابن جامع كان يخفي هذه الكتب حتى لا يضطر الناصر على مغادرة حصن شلبطرة، ولما طال الحصار على رباح اضطر أهلها للاستسلام[1].

وحين وصل ابن قادس إلى بلاد المغرب قام الناصر بقتله بتحريض من ابن جامع لاتهامه إياه بتسليم القلعة للعدو، ما أدى بالأندلسيين إلى الحقد على المغاربة، وكرد فعل من جانب الوزير ابن جامع قام بإقصاء القادة الأندلسيين من مناصبهم[2].

في نهاية عام ذي الحجة (608 هـ/1212م) سار ألفونسو الثامن لمحاربة الجيش الإسلامي، فالتقى الجيشان في مكان يُعرف بالعقب، اتخذ النظاميون الموحدون موقفًا محايدًا ولم يحركوا إصبعًا، ورغم ذلك لم يسلموا من القتل، حيث قضى النصارى على معظمهم، واكتفت الدائرة المحيطة بالخليفة، وارتكب القشتاليون مذبحة كبرى ضد مدينتي بياسة وعبزة، بمباركة من الزعماء الدينيين في أوروبا وعلى رأسهم البابا أنونست الثالث (1216-1198م)، كان هذا الحادث هو السبب. لضعف المسلمين في المغرب والأندلس واستيلاء المسيحيين على معظم الأراضي الإسلامية وقلاعها، وبعد ذلك لم تكن هناك قائمة مدح للمسلمين، وكانت من معاقل المسلمين ومدنهم في الأندلس. في عام (614 هـ/1217م)، تلقى المسلمون هزيمة أخرى في قصر أبو دانيس بغرب الأندلس على يد

---

[1]- المراكشي، **المعجم في تلخيص أخبار المغرب**، مصدر سابق، ص 241.

[2]- Gauvet ct ,**l'origine zenata bulletin provisoire de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord** , 2 eme trimestre , 1942, p385

القشتاليين، بينما لم تنجح المساعدات الإسلامية التي أتت من إشبيلية وقرطبة وحيان في رفع الحصار..

ويمكن تعليل ذلك بمجموعة من العوامل المتمثلة في ضعف الخلفاء المتأخرين، بحيث في المرحلة الأخيرة من عهد الدولة الموحدية، تولى الخلافة أشخاص صغار السن لم يبلغ بعضهم سن الحلم، في حين كانت الدولة بأمس الحاجة إليهم لإعادة بعثها من جديد إلى التطور والرقي والازدهار فهؤلاء الخلفاء لم تكن لهم دراية بما يحيط بهم من خطر داخلي أو خارجي، بالإضافة إلى انهماك معظمهم في الترف والملذات فقد كان المرتضى ميالا للمسالمة ومولعا بسماع الغناء ليلاً نهاراً وعليه أصبح بيت عبد المؤمن خالياً من رجل كفؤ قادر على إدارة شؤون الدولة فكانوا سببا في إسقاط دولتهم، وابتعادهم بذلك على مبادئ الدعوة الموحدية.[1]

ومن العوامل التي عجلت بسقوطها الصراع العائلي على السلطة بين أبناء عبد المؤمن، منذ تبني الحكم الوراثي لأبناء عبد المؤمن بن علي، ودخلت الدولة في دوامة صراع عائلي للسلطة من جهة والشعور بالإنكار والرفض للتهميش الذي تعيشه القبائل التي قامت على أساسها من جهة أخرى تحمل دعوة الموحدين وتطور الأمر حتى بلغ ذروته بين بني عبد المؤمن، عندما ثار إخوة المهدي عبد العزيز وعيسى عام (548 هـ/1153م) على عبد المؤمن بن علي، في وقت كانت الدولة في أمس الحاجة إلى آل الموحدين لمواجهة الخطر. أصبح الأخير ضعيفاً وغير قادر على حماية نفسه، مع انتشار ظاهرة الفساد الإداري، حتى أصبح الحكام مستبدين، حيث حاولوا فصل المناطق التي كانت تحت سلطتهم عن مراكش ، كما فعل أبو زيد البياسي في فالنسيا، عام (621هـ/1224م) وأخو عبد الله البياسي في قرطبة عام (623 هـ/1226م)، بالإضافة إلى تمرد الحفصيين في إفريقيا عامة شيخهم ابن أبي حفص على المستنصر بحجة وجوده صغر السن، والأمر لم يتوقف عند هذا الحد،

[1]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي مكتبة مدبولي**، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، القاهرة، 1414هـ 1994م، ص 254 – 255.

حيث انتشر الفساد بشكل واضح في عهد الناصر في هياكل الدولة واتضح فساد العمال والمحافظين الذين استأثروا بالامتيازات مع تغيير أشكالها، واستولى على المال ظلما.[1]

كما أن تاريخ الدولة الموحدية كان حافلا بالفتن والتمردات والثورات تسلم التي اعتبرت من العوامل الأساسية في سقوطها ظل التفوق الجيش الموحدي طيلة عقود من الزمن، غير أن هذا الجيش بدأ يفقد الكثير من بريقه وقوته وعوامل صلابته خاصة في عهد الناصر، حيث بدأ في مسار عكسي نحو التراجع والضعف، تجسد ذلك في معركة حصن العقاب التي مني فيها بهزيمة نكراء تفكك وانحل فيها الجيش الموحدي، ويبدو أن ضعف مبادئ الموحدين في نفوس الجيش الموحدي كان له دور كبير في ضعف الجند الذي أصبح همهم الوحيد هو جمع الغنائم، وليس القتال على المبادئ بحيث تزايد عدد المرتزقة من العرب والروم والعبيد، الأمر الذي كان له الأثر السيئ على الجيش الذي لم يكن يهمه سوى النهب والسلب واكتساب الأموال، ولم تعرف هذه العناصر نظاما ولم يتقيدوا بأوامر، وكانت تميل في الحرب وفق مصالحهم المادية.[2]

[1]- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، مرجع سابق، ص 256.

[2]- بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن 4 هـ – 10م**، المدار الإسلامي، ط1،2003، بيروت، لبنان، ص 361.

الفصل الثاني: قيام دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط

المبحث الأول: جهود بني زيان في قيام دولتهم

المبحث الثاني: علاقات بني زيان الخارجية (بني مرين، بني الأحمر، المماليك النصرانية)

المبحث الثالث: الأنشطة الاقتصادية في الدولة الزيانة (الفلاحة، الصناعة، التجارة الداخلية)

الفصل الثاني: قيام دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط.

المبحث الأول: جهود بني زيان في قيام دولتهم (التأسيس).

أولا: تأسيس وقيام دولة بني زيان.

توسع نفوذ بنو زيان مع غزوهم لمنطقة المغرب العربي الوسطى وخلال الفترة كانوا حكامًا للجزائر من قبل الموحدين، مما دفع بنو زيان "بني عبد الواد" للذهاب إلى منطقة الأوراس. أراضي الأوراس ومنطقة الزاب، وهذا يدل على أنهم اعتنقوا الإسلام في سن مبكرة، وأن بني الزيان استغرقوا وقتًا وجهدًا لتأسيس سلطتهم، وكان عليهم أن يصطدموا مع المغرب الأقصى وتونس في نفس الوقت لحماية وجودهم وممتلكاتهم الفنية.[1]

أما في عصر المرابطين، فقد انضم بنو عبد الواد إلى جيش يوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة (479 هـ/1086م) أو "معركة سهل الزلقة"، وهي أول معركة كبرى يشهدها. شبه الجزيرة الأيبيرية (إسبانيا) في العصور الوسطى، وكانت من أهم المعارك الكبرى في التاريخ الإسلامي، حيث شارك فيها حاكم المسلمين يوسف بن تاشفين، زعيم المرابطين ، مدعومًا بجيش أندلسي بقيادة آل- تمكن معتمد بن عباد، صاحب إشبيلية، من إلحاق أكبر هزيمة بالجيش المسيحي في قشتالة بقيادة ألفونسو السادس، ملك قشتالة وليون. السادس أشاد به، وانتهى هذا الوضع بسقوط طليطلة بيد ألفونسو وجيشه عام (478 هـ/1085م)، أي قبل معركة الزلقا بسنة، لهم وعبر البحر مع جيش المرابطين لدعم مسلمي الأندلس، وتوحيد الجيش الأندلسي مع جيش المرابطين في جيش كبير بقيادة ابن تاشفين، كان الجيشان معركة كبيرة انتهت بانتصار المسلمين ونصر عظيم وهزيمة جيش قشتالة [2].

وبعد استيلاء الموحدين على المغرب الأوسط أعلن بنو الزيان "بنو عبد الواد" الطاعة والولاء لهم، فاقطعهم الموحدون بلاد يلومي وأمانوا من ضواحي المغرب الأوسط، وبذلك ضمن بنو عبد الواد

---

[1]- شبانه محمد كمال، **الدويلات الإسلامية في المغرب**، دار العلم العربي، مصر، 2008م، ص 325.

[2]- ابن خلدون، **العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب ط2، بيروت، 1969، ص 107 -106.

لأنفسهم الاستقرار في المغرب الأوسط بعدما أصبحوا أولياء وأنصارا للموحدين، وكان ذلك الاستقرار نتيجة تمكن بنو عبد الواد من القضاء على ابراهيم بن إسماعيل بن علات الصنهاجي شيخ اللمتونيين في تلمسان الذي تمرد على سلطة الموحدين في حينه آملاً في إحياء دولة المرابطين، ومن ثم عهد الموحدين بولاية تلمسان وقيام الدولة الزيانية وتولى هذه المهمة يغمراسن بن زيان الذي تولى رئاسة بني عبد الواد بعد مقتل أخيه أبي عزة زيدان، وقد استطاع يغمراسن بن زيان بعد ان تولى الأمر فقضى على القبائل المناوئة من بني مطهر وبني راشد، وجمع كلمتهم فتوطد أمره، وبذلك يعدّ يغمراسن بن زيان مؤسس الدولة الزيانية العبد الوادية وأول ملوكها.[1]

وقد أصبحت العوامل والمؤشرات جاهزة لمساعدة يغمراسن على الاستقلال ببلاد المغرب الأوسط دون حاجته للموحدين وكان ابرز تلك العوامل والمؤشرات تتمثل في:

1. الشخصية القوية التي تتمثل في مؤسس الدولة يغم ارسن بن زيان كانت سبباً مؤشراً في قيام الدولة الزيانية.
2. ضعف دولة الموحدين كان مساعد لقيام دولة بني الزيان.
3. كان اختيار مدينة تلمسان عاصمة للدولة الزيانية لوجودهم لفترة طويلة من الزمن فيها وقوية شوكتهم بين القبائل كان دافع مهم في قيام الدولة الزيانية.

وقد وصف ابن خلدون مؤسس هذه الأسرة بقوله: "كان يغمراسن بن زّيان بن ثابت بن محمد من أشّد هذا الحي بأساً وأعظمهم في النفوس مهابة وأجلالا وأعرفهم بمصالح قبيله، وأقوالهم كاهلاً على حمل الملك واضطلاعاً بالتدبير والرئاسة، شهدت له بذلك آثاره قبل الملك وبعده. وكان مرموقا بعين التجلّة مؤّملا للأمر عند المشيخة وتعظمه من أمره عند الخاصة ويفزع إليه في نوائبها

1- ابن خلدون، المرجع السابق، ص 513.

العامّة "[1]، وهذا ما دفع لازدياد دولة بني زيان القوة والمهابة وذاع صيتها ومكانتها بين دول المغرب الإسلامي في القرنين الخامس والسادس الهجريين[2].

ثانيا: تطور وازدهار دولة بني الزيان.

تطورت دولة بني زيان في نظامها الإداري والاقتصادي طيلة فترة ثلاثة قرون من حكم بني زيان "عبد الواد" في المغرب الأوسط، فكان النظام الإداري يتألف من السلطان والوزير والكتاب والحاجب وصاحب الأشغال واعتماد الإدارة المركزية في نظام الدواوين والإدارة المحلية، في توزيع الصلاحيات على أمراء المدن والأقاليم والأمصار، فضلاً عن النظام القضائي والعسكري كلها عوامل أساسية دفعت باتجاه نمو وازدهار إدارة الدولة الزيانية وقوتها واتباع طرق علمية في عهدهم مثل: امتزاج المياه الجوفية وإقامة السدود وحفر القنوات والجداول للري.

كما اهتم سلاطين بني زيان بالصيد لا سيما صيد المرجان، وكذلك في المجال الصناعي باستخراج المعادن، كالحديد والفضة وغيرها من المعادن الأخرى التي ساعدت على تطوير الصناعات الجزائرية خاصة، وتوفير الأيدي العاملة الماهرة، ومن بين أهم الصناعات المنتشرة صناعة النسيج والسجاد على اختلافه، أما في المجال التجاري فقد عقد الزيانيون عدة اتفاقيات تجارية مع الدول الأجنبية في أوربا وجنوب الصحراء الكبرى وتأسست مجموعة تجارية حرة ونظمت تجارتها تحت حماية الدولة الزيانية، وحصل تخصص بالتجارة بعضها التجارة الخارجية والأخرى الداخلية فضلاً عن الاهتمام بالنشاط الزارعي.[3]

---

[1]- ابن خلدون، المرجع السابق، ص 125.

[2]- التنسي محمد بن عبدالله بن عبد الجليل (ت 899 هـ/ 1493م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، دار موفم للنشر، تح: محمود بو عباد الجزائر، 1985م، ص 109

[3]- المراكشي: **المعجم في تلخيص أخبار المغرب**، مصدر سابق، ص 54- 55.

المبحث الثاني: علاقات بني زيان الخارجية مع (بني الأحمر، بني مرين، التجارة الداخلية):

كان اهتمامهم بالسياسة الخارجية أكثر أهمية مما جعلهم دولة عسكرية، بسبب الظروف التي كانت تحيط بهم غرباً وشرقاً وشمالاً:

أولا :علاقة الدولة الزيانية مع بني الأحمر.

ارتسمت حدود مملكة بني الأحمر التي جمعت في أشلائها الأندلس المنهارة وعاصمتها غرناطة، وكانت تمتد من جيان وبياسة شمالا إلى بحر الروم جنوبا، ومن المرية شرقا إلى مصب الوادي الكبير" حيث كان سقوط الدولة الموحدية وبروز الكيانات السياسية تبعات كثيرة أهمها ظهور خريطة سياسية جديدة للعلاقات تميزت بالصراعات والعداء والحروب المستمرة من أجل ابرزا القوة وبسط النفوذ على كامل بلاد المغرب الإسلامي، والملاحظ أن هذه العلاقات المتوترة تخللتها بعض فترات السلم والهدنة وذلك حسب اختلاف شخصية السلاطين وأهدافهم السياسية وطريقة الوصول إليها.[1]

وكان لتباين القوة بين دول المغرب الإسلامي دور في تباين العلاقات بين دولة بني الأحمر ودول العدوة المقابلة، وبما أن الأندلس كانت مرتبطة سياسيا بالدولة الموحدية فإن المرينيين والحفصيين والزيانيين أرادوا أن تستمر هذه العلاقة وخلافة حكم الموحدين بما فيها بلاد الأندلس، لذا فإن بني الأحمر كانوا يتجنبون التعامل مع هذه الدول في عصر قوتها ؛ حيث تزداد الشكوك لديهم تجاهها خاصة مع الدولة المرينية التي كان لها دورا كبيرا في الجهاد بالأندلس أين جاز سلاطينها إلى العدوة الأندلسية عدة مرات أهمها كان في عهد "محمد الثاني الفقيه" (701/672هـ) أين جاز "يعقوب بن عبد الحق" أربع مرات أولها في 672م" وظل الصراع بين دول المغرب يمثل الأمان لبني الأحمر فقد

1- عبد القادر بوباية: **المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص235.

عمل بنو الأحمر على تأييد الزيانيين بشتى الوسائل كي يظلوا شوكة في جنب الدولة المرينية فيشغلونهم عنهم[1].

وكانت تبعات سقوط الدولة الموحدية بالأندلس ثقيلة الحمل ومزرية على المسلمين، فقد ظهرت زعامات محلية منقسمة ومتفرقة ومتحاربة سهلت كثيرا مهمة النصارى الذين كانوا مدفوعين بالشعور القومي والنزعة الصليبية المشتركة ضد الإسلام والتمهيد لمشروع الاسترداد، وأصبحت الفرصة سانحة لتسديد ضربات قاتلة للبقية الباقية من المسلمين في الأندلس، وقد بدأ عملية الاسترداد ملك قشتالة "فردناند الثالث "حيسنة (631هـ/1232م) وتمكن من دخول قرطبة في (633هـ/1234م) ورفع الصليب فوق المسجد الجامع في إشارة إلى انتصار المسيحيين على المسلمين، ثم توجه نحو غرناطة وانتزع مدينة جيان ما دفع "محمد بن يوسف" إلى عقد معاهدة صلح معه في (643هـ/1244م)".

كما أقام صاحب قشتالة يحاصر إشبيلية سنة وخمسة أشهر حتى ملكها صلحا في 645هـ، ولم يبق للإسلام في تكل الفترة بالأندلس سوى غرناطة وجوارها، وإن التخوف الذي راود بني الأحمر تجاه بني مرين يبدوا منطقيا، فإن السلطان المريني "يعقوب بن عبد الحق" استفحل أمره بالأندلس وتخوف "محمد الفقيه" من أن يكون منه كما حدث لابن عباد على يد "يوسف بن تاشفين"، فبحث عن طريقة للتخلص منه ولم يجد إلا تمتين العلاقات مع بني زبان" إذن فإن أهم ما دعم التقارب الزياني الغرناطي أن كلتا الدولتين قد عرفت تقلبات سياسية عديدة ومستهدفتان من أخطار عديدة، فكانت النجدات بينهما متبادلة والتعاون مستمر بين الجانبين.[2]

ثانيا: علاقة الدولة الزيانية مع بني مرين.

كان النزاع سيد الموقف في العلاقات بين الطرفين، فكلما سنحت الفرصة لأحدهما استغلها بهدف القضاء على خصمه، وسبب ذلك النزاع والعداء هو أن كل منهما يعتبر نفسه الوريث الشرعي

[1]- بن فارس أحمد بن الحسن، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: وضبط عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار الفكر لطباعة والنشر، سوريا، 1979، ص 512.

[2]- المرجع نفسه، ص 513.

للموحدين، فالمرينيون سبب أنهم هم من استولى على عاصمتهم مراكش والأندلس، وبنو زيان فلكونهم كانوا من أخلص مساعديهم وأنصارهم، لكن نظرا لانشغال الزيانيين بمشاريعهم الداخلية وبالحفصيين شرقا فقد تمكن المرينيون من التوسع شرقا إلى أن سقطت تلمسان بيدهم سنة: 1352 ولم يرض الزيانيون سياسة الأمر الواقع، بل واصلوا نشاطهم إلى أن استعادوا عاصمتهم وطردوا المرينيين إلى ما وراء الحدود وكان ذلك سنة: 1359 على يد أبو حمو موسى الثاني وحلفاءه قبائل بنو عامر وحميان. ولما لاحظ الزيانيون تكالب المرينيين والحفصيين على الجزائر ،عمدوا إلى تدريب الجيش وتقويته حتى غدا أقوى جيش بالمغرب العربين، وبطبيعة الحال هذا لم يرضي الحفصيون ولا المرينيون، فتحالفوا ضد الدولة الزيانية، فعمدوا إلى إثارة الفتن والاضطرابات في الجزائر استعدادا للهجوم و القضاء على مملكة بني زيان، لكن الزيانيين كانوا لهم بالمرصاد، فوحدوا كلمة القبائل الجزائرية أولا ومن تم توجه شرقا وغربا إلى الحفصيين والمرينيين وأنزل بهم خسائر كبيرة، ففي الشرق تقلص النفوذ الحفصي، وفي الغرب سقطت بيدهم "فاس" (عاصمة المرينيين) ومن حينها لم تحاول مراكش المرينية ولا تونس الحفصية التحرش أو الاعتداء على التراب الجزائري الزياني[1]. (**انظر الملحق رقم 04**).

ثالثا: علاقة الدولة الزيانية مع المماليك النصرانية.

خلال القرنين السابع والثامن، استقبلت المحاكم الزياني والمسيحية عددًا من السفارات المتبادلة بين الطرفين، وكان معظمها لغرض إبرام معاهدات السلام والسلام، سواحل تلمسان ووهران عام (627 هـ/1230م)، لكنه سرعان ما أدرك أن السياسة العدائية لم تكن في مصلحته، وأصدر قرارًا بمنع مواطنيه من القرصنة ضد دول الهدنة، الأمر الذي دفع إغراسن إلى إرسال سفير له " أبي أرلان" كسفير في برشلونة، وأبرم معاهدة تجارية مع كاتالونيا، (648 هـ/1250م) صدر مرسوم أراغون بتأكيد منع القرصنة وفي عام (664 هـ/1265م) أرسل "خايمي الأول" الفارس "بار دي فيلارجيت" سفيراً وقائداً عاماً للقوات المسلحة إلى تلمسان لمدة ثلاث سنوات، كان يقوم خلالها

[1]- أحمد غالب محمد الخطيب، **أحكام السفارة في الفقه الإسلامي**، رسالة دكتوراه في الفقه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، 1987، ص 351.

بمهام عسكرية، تدريب وإشراف الجنود المسيحيين الذين كانوا في خدمة دولة زيان، والمهام المدنية المتمثلة في رعاية التجار الأوروبيين، برنارد بورتر "بعد ثلاثة أشهر من توليه بعد وفاة والده عام (675 هـ/1276م) في السفارة لإبرام معاهدة تجارية وسلام مع" إغمرسين"، كما أمر بإعطاء تصريح دائم لبعض تجار تلمسان، مثل "محمد بن أبي عبد الله بن بريدي" وزير "يومراسين"، في عام (677 هـ/1278م)، منح بيدرو جوازات سفر دائمة لأربعة وعشرين مسلمًا من فالنسيا للتجارة في سواحل تلمسان ولتوسيع التجارة بين البلدين[1].

ويظهر اهتمامه أيضا بتعيين ابنه قائدا بتلمسان، واستمرت هذه السياسة في عهد "ألفونسو الثالث" (1283-1291م) الذي جدد علاقات الود مع الزيانيين فعقد مع "عثمان بن يغمراسن" في (686هـ/1286م) معاهد صداقة وتجارة والتي نصت على منح تلمسان نصف عائدات موانئه وخانا للمسيحيين في وهران، وهو غير ما نصت عليه المعاهدة القطلانية الإفريقية ببلنسية (670هـ/1271م) التي حددت في مادتها الثالثة والعشرين على دفع عشر قيمة البضائع، ومما سبق يمكننا أن نحدد طبيعة العلاقات بين الدولة الزيانية ومملكة أرغون وقشتالة؛ فقد تميزت بالاستقرار والتزم سلاطين الدولتين باحترام بنود المعاهدات التي كانت بينهما التي نصت دعم السلم والصلح وتشجيع ودعم العلاقات التجارية فيما بينها[2].

ولم تتوقف هذه المعاهدات عند عهد "عثمان بن يغمراسن" بل استمرت في عهد السلاطين الزيانيين الآخرين وهو ما يذكره أرشيف أرغون خاصة في عهد "عبد الرحمن بن تاشفين" الذي عقد ثلاث معاهدات على الأقل معهم؛ أولها كما ذكر "عمر سعيدان" في كتابه " علاقات إسبانيا القطلانية في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر ميلادي " من خلال الوثيقة رقم 88 من الأرشيف التي تمثلت في رسالة قدمها الوزير "هلال بن عبد الله" إلى الملك "جامقة الثاني"(خايمي

[1]- عبد الرحمن محمد، **الدبلوماسية الإسلامية**، دار اليقين للنشر والتوزيع، السعودية، 2006، ص 214.

[2]- المرجع نفسه، ص 215.

الثاني) سنة 723هـ/1323م للرد حول النصارى الأسرى والمطلوب إطلاق سراحهم وحول معاهدة الصلح التي يرغب فيها السلطان والضمانات المقترحة بينهما.[1]

والوثيقة 89 تشرح الرسالة الثانية كانت في (727هـ/1327م) والتي أبلغ فيها جامقة بإرساله رسلا لإبرام عقد صلح معه، أما الوثيقة رقم 92 فتبين السفارة التي كانت في (730هـ/ 1330م) بين "عبد الرحمن بن تاشفين" و"ألفونس الرابع" تشير إلى إبلاغ الطرف الأرغوني بإرسال السفراء إليهم أما في عهد "أبو حمو موسى الثاني" فاستمرت السفارات بين الطرفين، وتبين الوثيقة رقم 113 المؤرخة في 23 صفر 764هـ/11 ديسمبر 1362م التي استقبل فيها رسالة حملها "فرانسيس كوستا" من الملك "بيار الرابع" يطلب منه إشهار الحرب على قشتالة وإطلاق سراح الأسري الذي أسرهم أثناء غارتهم عليهم.[2]

المبحث الثالث: الأنشطة الاقتصادية في الدولة الزيانية (الزراعة، الصناعة، التجارة الداخلية).

لقد ازدهرت الدولة الزيانية ازدهارا عجيبا في جميع الميادين بالرغم من الأخطار التي داهمتها من الشرق والغرب والشمال، فنشطت الزراعة، التجارة والصناعة وانتشرت الثقافة ونبغ كثير من الفقهاء والأدباء والمؤرخين، فكانت همزة وصل بين أوروبا وأقطار ما وراء الصحراء وملتقى طلاب العلم من مختلف الأقطار ويمكن إبراز ذلك بالنشاط الزراعي والصناعي والتجاري:

أولا: الإنتاج الزراعي.

لقد شكلت جودة الأراضي وخصوبتها وتعدد طرق ونظم استغلالها وتنوع مصادر المياه وأساليب السقي واعتناء سكان تلمسان واهتمامهم بالنشاط الزراعي عوامل مهمة في تفسير نوعية

[1]- عبد الرحمن محمد، **الدبلوماسية الإسلامية**، المرجع السابق، ص 218.

[2]- إدريس بن مصطفى، **العلاقات السياسية والاقتصادية في المغرب الأوسط**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص علم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، الجزائر، 2008-2007، ص 215.

وكمية الإنتاج في الدولة الزيانية، فمنطقة تلمسان وما جاورها من الأراضي شهدت نشاطاً مكثفاً يتفق أغلب الجغرافيين علي التنويه بأثاره مع زيادة في الإنتاج.[1]

أ) الخضر والفواكه:

تتوفر زراعة الخضر والفواكه في الأراضي الخصبة المجاورة للأودية والعيون، في شكل مزارع وبساتين وجنان حيث تشير كتب الجغرافيا إلي أنواع عدة من الخضر منها:

الجزر واللوبيا والكرنب والبصل والخيار والقثاء واللفت والباذنجان والقرع وقصب السكر، والقنيط والخس والهليون أما الفواكه فهي علي أنواع وأذواق مختلفة مثل العنب والتين والسفرجل والتفاح والكمثري والزعرور والخوخ والمشمش والتوت والليمون والجوز والنخيل وغيرها.[2]

ب) الحبوب والمحاصيل الأخرى:

تتم زراعة الحبوب في الأراضي الخصبة خاصة السهلية منها، كسهل تسالة، وسهل وادي الشلف، وسهل تيارات وسهول متيجة، بالإضافة إلي السهول الساحلية الأخرى كسهل تنس (الظهرة)، ووهران، وهنين، والأراضي المحيطة بتلمسان ومن أهم أنواع الحبوب: القمح، الشعير، الحنطة وغيرها.[3]

وحول نوعية وكمية إنتاج القمح يشير حسن الوزان إلي سهول تسالة المجاورة لتلمسان بقوله: (أما مدينة تسالة فتقع في سهل كبير يمتد علي مسافة عشرين ميلاً، ينبت قمحاً جيداً جميل اللون غليظ الحب يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب) وعن مدينة تنس يقول: (وأما إقليمها فينتج الكثير من القمح)[4] ويذكر أيضاً سهل البطحاء في سهل فسيح ينبت فيه القمح بكثرة، وكانت تحقق لملك تلمسان دخلا يقدر بعشرين ألف مثقال أما حوض الشلف وما جاوره من

---

[1]- القيرواني أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن أبو زيد (ت183هـ/ 3994م)، **النوادر والزيادات علي ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تحقيق: محمد عبدالعزيز الدباغ، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1999، ص 187.

[2]- المرجع نفسه، ص 188.

[3]- العروي عبد الله، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، ج3، بيروت، 1998، ص 573 .

[4]- المرجع نفسه، ص 544.

الأراضي الخصبة كسهول مليانة وبرشك فتنتج إلي جانب القمح، الشعير والحنطة والكتان، هذا إلي جانب المناطق الجبلية كجبل متغارة، وولهاصة وبني يزناسن ومطغرة التي لا تنتج إلا الشعير ويذكر الوزان مدينة برشك بقوله: وتنتج البادية الجميلة من حولها كثيراً من الكتان والشعير وإلي جانب هذه المحاصيل تشير بعض المصادر الفقهية إلي زراعة القطن والقطاني والذرة والمقاتي فالقطن والكتان من المحاصيل الزراعية الهامة في المغرب الأوسط خاصة في الصناعات النسيجية، مما يفسر انتشاره في عدة مناطق، وهو ما يؤكده حسن الوزان بشأن سكان مدينة ندرومة بقوله: وينتجون علي الخصوص أقمشة القطن لأنه ينبت بكثرة في الناحية.

ج) نظام الرعي وتربية الماشية:

تشير إحدى الدراسات الحديثة إلي أن أراضي الدولة الزيانية كانت في فترة من فترات تاريخها مرتعاً ومرعي لمختلف الحيوانات والماشية خاصة الأغنام والأبقار والإبل والخيول والحمير، وتزاول من طرف القبائل التي توجد مضاربها ضمن محيط الدولة.

ومن القبائل التي اشتهرت بتربية الماشية: قبائل بني توجين، ومغراوة خاصة في المرتفعات الجبلية، أما القبائل الناجعة فأغلب حيواناتهم الإبل، بينما انحصرت تربية الخيول في المناطق السهلية والهضاب وكثرت تربية الأبقار في المغرب الأوسط، حيث المراعي والأعشاب، والأراضي المستوية في الشمال خاصة في مدينة تيهرت وأراضي مطماطة، بينما اشتهرت تربية الأغنام والماعز في الهوامش الشمالية للصحراء في الشتاء، والسفوح الجنوبية في الصيف.[1]

ثانيا: الصناعة.

مثلت بعض الحرف والصنائع في المجتمع الزياني القاعدة الإنتاجية للمدينة، بما كان يقدمه الحرفيون من دور بارز في تنشيط الحياة الاقتصادية، وذلك باستغلال وتحويل المواد الأولية فلاحية كانت أو معدنية إلي بضائع استهلاكية قابلة للتسويق، ومن أهم هذه الصنائع:

[1]- العروي عبد الله، المرجع السابق، ص 574- 575.

أ) **الصناعات النسيجية:** تعتمد هذه الصناعة علي موارد مختلفة كالصوف، والقطن، والكتان، والحرير والجلود المدبوغة علي اعتبارها مادة أولية متوفرة بشكل كبير في أراضي الدولة الزيانية، وتشمل بوجه خاص: حياكة الملابس والزرابي والحنابل، وصناعة الخيم والأحذية والسروج والعمائم والأحزمة وغيرها، وقد أثني يحي ابن خلدون علي هذه الصناعة بتلمسان بقوله: (غالب تكسيبهم الفلاحة وحوك الصوف، يتغايون في عمل أثوابه الرقاق، فتلقي الكساء، والبرنوس عندهم من ثماني أواقي، والأحرام من خمس، وبذلك عرفوا في القديم والحادث، ومن لدنهم يجلب إلي الأمصار شرقاً وغرباً).[1]

ب) **الصناعات الفخارية والخشبية:** ارتبطت حرفة الفخار بوجود عدد من الأفران المتخصصة في صناعة الفخار والخزف والقرمي، بمدينة تلمسان وضواحيها، خاصة بالقرب من باب العقبة، ويشير جورج مارسي إلي تراجع هذه الحرفة عما كانت عليه من تطور وازدهار منذ زمن طويل مقارنة بحرف أخري كالنسيج، ومن المؤكد أن هذه الصناعة قد تأثرت بشكل كبير من خلال فئة الأندلسيين الذين أدخلوا معهم إلي بلاد المغرب الأوسط صناعات جديدة كصناعة الزليج ذو الألوان المختلفة، كما أن عمارة المساجد وبناء القصور والبيوت في هذا العصر تركت أثاراً كبري في تطوير الصناعات الخشبية، بما احتاجته من أسقف ونوافذ وأبواب ومنابر ومقصورات وأثاث وتحف زخرفية، وكانت السقوف الخشبية تغشي بالقصدير والأصباغ الملونة، والأبواب تغشي كلها بالنحاس الأصفر، وكانت المنابر والمقصورات تزخرف بأشكال هندسية ونباتية، وتطعم حشوات المنابر بالعاج والأبنوس والصندل والعناب وأصناف الخشب العظيم.[2]

ج) **الصناعة المعدنية:** هي من بين الصناعات التي أخذت اهتماما خاصاً من قبل السلطة الزيانية لارتباطها بالحياة المدنية من جهة والحياة العسكرية بشكل خاص، ويعود السبب في تطورها إلى

---

[1]- جورج مارسي، **تلمسان**، ترجمة: سعيد دحماني، دار التل للنشر، الجزائر، 2004، ص 100.

[2]- جمال أحمد طه: **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (دراسة سياسية وحضارية)**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2001، ص 215.

وفرة الموارد الأولية في محيط الدولة وقربها من مناجم الذهب والزنك والحديد بشكل خاص وشملت هذه الصناعة الأسلحة التقليدية كالسيوف، والرماح، والدرق، والمجانيق، والعردات، والآلات المختلفة التي تستخدم في عمليات الحصار كما استخدمت في مواضع مختلفة، كمصاريع للأبواب ومقابض ومطارق لها إلي جانب بعض الأدوات البسيطة كالفؤوس والمحاريث والشبابيك وغيرها، وارتبطت كذلك بسكّ العملة وصناعة النقود من دنانير ودراهم، بلغ عددها اثنان وثلاثون ديناراً ذهبياً في غاية الجودة والإتقان، بما تحمله من أشكال هندسية، وأقوال مأثورة لأسماء الملوك والسلاطين، وآيات من القرآن الكريم، ومعلومات أخري تفيد أنها ضربت بمدينة تلمسان، مما يؤكد وجود دار للسكة.[1]

ثالثا: التجارة الداخلية.

التجارة الداخلية فكانت تستعمل القوافل التجارية واختصت قوافل الجمال بالتجارة الجنوبية والسفن بالتجارة مع أروبا، ونظرا لازدهار الاقتصاد ارتفع مستوى الحياة المعيشية، إذ عاش المجتمع في رغد مما شجعه على تنشيط الحركة العلمية وتعزيز القوة العسكرية لأن الثقافة تغذي وتنمي الاقتصاد، من زراعة، صناعة وقوة عسكرية تحفظ الأمن وتصد كل خطر يهدد البلاد من الداخل أو الخارج.[2]

[1]- مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية**، (الأحوال الاقتصادية والثقافية) منشورات الحضارة، ج 3، الجزائر، 2009، ص174- 175.

[2]- مختار حساني، المرجع السابق، ص 176.

الفصل الثالث: العلاقات التجارية للدولة الزيانية مع المماليك النصرانية

المبحث الأول: الطرق والمسالك (البرية والبحرية)، الموانئ ووسائل النقل

المبحث الثاني: الأسواق والمراكز التجارية والفنادق والقناصل

المبحث الثالث: المنتجات والمبادلات التجارية (الصادرات والواردات)

الفصل الثالث: العلاقات التجارية للدولة الزيانية مع المماليك النصرانية.

المبحث الأول: الطرق والمسالك (البرية والبحرية).

اكتست الطرق التجارية أهمية بالغة في الرواج التجاري لمختلف السلع والبضائع وسنتطرق هنا إلى أهم المسالك التجارية التي مر منها المماليك النصرانية في تجارتهم في أو مع الدولة الزيانية.

أولا: الطرق التجارية البرية.

لم تتغير الطرق التجارية البرية في عهد الدولة الزيانية كثيرا عما كانت عليه في عهد الموحدين، إذ سلك تجار المماليك النصرانية نفس الطرق التي كان المسلمون يسلكونها ويمكن أن نوضح هنا أهم هذه المسالك[1].**(أنظر الملحق رقم 01)**

- **الطريق الأول:** وهو الطريق الساحلي القادم من طنجة إلى تلمسان وقد يمر على مستغانم ومازونة إلى تنس إلى مليانة ثم الجزائر وبجاية إلى قسنطينة ثم بونة وصولا إلى تونس مرورا بسوسة وصفاقس وقابلس إلى طرابلس ومنها إلى الإسكندرية.
- **الطريق الثاني:** ويتجه بعد الوصول إلى مدينة الجزائر إلى سطيف وميلة وقسنطينة وقالمة وكان من أشهر الطرق التجارية آنذاك.
- **الطريق الثالث:** وهو طريق داخلي يمر عبر الهضاب منطلقا من مراكش إلى فاس ثم إلى تازة ومنها إلى تلمسان إلى الشلف ثم مليانة إلى بجاية وقسنطينة إلى الأوراس وصولا إلى بلاد الجريد
- **الطريق الرابع:** وهو طريق شبه صحراوي من تلمسان حتى المسيلة ثم بغاي إلى تبسة إلى جنوب المغرب الأدنى إفريقية ويوازيه طريق آخر إلى الجنوب منه يخرج من تافيلالت إلى قصور توات مخترقا الأطلس الصحراوي إلى تقرت والأوراس ومنه إلى القيروان ثم إلى غدامس.[2]

---

[1]- هشام أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدولة الإسلامية في الأندلس**، دار الفرقان للطبع والنشر، ط1، 1984، ص 355.

[2]- رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، ج 32، الجزائر، 1965، ص ص 123 -126.

الطرق الصحراوية اشتهرت الطرق الصحراوية التي تربط مدن الزيانيين بالصحراء وصولا إلى بلاد السودان وقد بقيت هذه الطرق قائمة عامرة بالتجارة إلى العصر الحديث، وتنطلق هذه المسالك من جميع مدن الدولة، إذ عُرف طريق ينطلق من تلمسان إلى وجدة، إلى تازة ثم اجرسيف إلى فاس وصولا إلى سجلماسة بعد المرور على تادلا وأغمات ودرعة والطريق يمر من وجدة إلى وادي غير وصولا إلى سجلماسة، وطريق ثالث يقطع الجبال المحاذية لتلمسان وحوض التافنة ثم يصل إلى جبال القصور والعمور مرورا بمنطقة أولاد سيدي الشيخ، أو يتجه من تلمسان إلى عسلة وبوسمغون ليلتقي هذان الفرعان عند تيميمون، وهناك طريق آخر يربط وجدة بفقيق وقورارة إلى توات، أو ربما تقطع القوافل بلاد المغرب الأوسط متجهة من تلمسان إلى غرداية ثم تنعطف إلى توات ثم تقرت وتتجه قوافل أخرى من مدن الجزائر وبجاية وتنس ومستغانم ووهران متجهة إلى غرداية أو ورقلة أو تقرت وتلتقي عند توات.

وبعد التقاء هذه القوافل في هذه النقاط الحيوية تنطلق في مرحلة أخرى باتجاه بلاد السودان وتشكل شبكة معقدة من المسالك أهمها:

- طريق من سجلماسة إلى ولاتة ثم إلى تمبكتو وجنى وغاو.
- طريق من توات إلى تغازى ومنها إلى تدمكة ثم تمبكتو.
- طريق من تقرت إلى غاو مباشرة، وتسلكه في الغالب القوافل القادمة من موانئ الجزائر وبجاية، وسكيكدة.
- طريق من مدينة نول لمطة بالمغرب الأقصى إلى أودغست ومنه إلى غانة وتمبكتو وبقية بلاد السودان.[1]

وقد عرف تجار المماليك النصرانية هاته المسالك وخاصة منهم اليهود، حتى أ-م استطاعوا رسم خرائط مبينة لهذه المسالك بمساعدة كتب الجغرافيين المسلمين السابقين لهم، ونذكر من هؤلاء

[1]- هشام أبو رميلة، مرجع سابق، ص 360- 361.

اليهود الذين يمكن تسميتهم بالجغرافيين أبراهام ويهودا قراسك أو قريش الذين و ضحا بعناية فائقة الطريق نحو بلاد السودان أي نحو بلاد الذهب، وكان ذلك حوالي نهاية القرن الرابع عشر ميلادي.[1]

ثانيا: الطرق التجارية البحرية.

شكلت الطرق البحرية الرابطة بين دولة بني عبد الواد وإمارات المغرب الإسلامي وبينها وبين العالم المسيحي أو حتى المشرق العربي شبكة متنوعة من المسالك تعّود تجار المماليك النصرانية عبورها في رحلاتهم التجارية عبر حوض البحر المتوسط، ولعل أهم خطوطها هي:

أ) الخط البحري بين إمارة تلمسان وإمارات المغرب الإسلامي:

وهو الخط الذي يصل بين مختلف بلاد المغرب الإسلامي، وبرزت أهم موانئه في الدولة الزيانية وهي تاونت، رشقول، هنين، وهران، مستغانم، تنس، برشك، شرشال، جزائر بني مزغنة، دلس، بجاية...، وفي الجانب الحفصي كانت موانئ سكيكدة، بونة، بنزرت، تونس، سوسة، صفاقس، قابس، طرابلس، أما في المغرب الأقصى فازدهرت موانئ سبتة، طنجة، أصيلا، العريش، سلا، وأنفا.

ب) الخطوط البحرية بين مملكة تلمسان والموانئ الأوربية:

- **خط جنوة بلاد المغرب:** وهو الخط الرابط بين جنوة ومختلف موانئ البحر وأهمها مرسيليا وبرشلونة يورق وبلنسية وكتالونيا وميورقة ومختلف موانئ المغرب.
- **خط البندقية بلاد المغرب:** قامت البندقية سنة 1440م إثر الازدهار التجاري الكبير الذي شهدته بإنشاء خط بحري يصلها بالموانئ المغربية مباشرة، ومنذ ذلك الحين شهدت هذه الموانئ زيارات دورية لسفن البنادقة.[2]

[1]- أبو عبد الله بن محمد العبدري، **رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية**، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط: 1، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968م، ص 22.

[2]- رشيد بورويبة وآخرون، مرجع سابق، ص 133.

- **الخط البحري التوسكاني بلاد المغرب** : إثر توقف المبادلات التجارية بين فلورانسا وبلاد المغرب لفترة وجيزة استأنفت من جديد بشكل قوي أسفر عن إنشاء خط بحري سنة م ينطلق من فلورانسا مارا بجنوة إلى الموانئ الحفصية ويتنقل إلى موانئ الزيانيين والمرينيين ثم بلاد الأندلس
- **خط الجنوب الإيطالي بلاد المغرب** :حيث كانت السفن الإيطالية تقطع عرض البحر متوجهة إلى جزيرة سردانية ومنها إلى تنس لتتنقل إلى باقي الموانئ الزيانية.
- **خط برشلونة بلاد المغرب:** ويربط برشلونة ببلنسية ثم جزيرة ميورقة ويتجه شمالا إلى مدن الجنوب الفرنسي أو جنوبا إلى موانئ بلاد المغرب.[1]

[1]- حسن إبراهيم حسن، **النظم الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1936، مصر، ص 365.

المبحث الثاني: الأسواق و المراكز التجارية والفنادق والقناصل.

أولاً: الأسواق و المراكز التجارية تنظيمها وإدارتها.

إن الحديث عن الحركة التجارية في الدولة الزيانية يرتبط أساساً بوضعية الأسواق وتنظيماتها في هذا العهد، حيث تمثل الأسواق مركزاً للنشاط التجاري بصورة ومراحله المختلفة، فالأسواق هي مرآة عاكسة لحياة المدينة الاقتصادية وعنوان نشاطها التجاري والصناعي بل والاجتماعي أيضاً، فمنذ إنشاء المدن رتبت أسواقها، ودعمت ببعض المنشآت وأصبح لها تنظيمات وقواعد معينة خاصة بعدما تولت الدولة الإشراف عليها.

يتضح من هذا أن لكل سوق وقتًا محددًا لحيازته ونوعًا معينًا من السلع يختص به، حيث تشير بعض الدراسات إلى عدد من الأسواق الأسبوعية والموسمية في الريف والمدن: مثل سوق سيدي بوجمعة، الذي يقام كل أربعاء في مدينة تلمسان، وسوق بني راشد الذي يقام كل يوم خميس، يتم بيع عدد كبير من الماشية والحبوب والزيت والعسل والعديد من المنسوجات وغيرها من الأشياء الأقل قيمة، مثل الحبال، السروج، الأحزمة واحتياجات الخيول، هناك أيضًا عدد من أسواق الحرف اليدوية الأخرى مثل: سوق الخزازين، وسوق النحاس، وسوق العطارين، وسوق الغزل والنسيج، وسوق الخضار. يشير أحد الأبحاث إلى رواج بعض الأسواق المتخصصة ببيع العبيد السود في مدينة تلمسان لفئة التجار الأجانب، وخاصة الكتالونيين والفينيسيين والمالوركان، حيث يشكلون سلعًا مربحة نظرًا لتعدد مجالات استخدامها والتحكم في إدارة وإدارة هذه الأسواق، وفئات التجار على اختلاف أنواعهم ورؤوس أموالهم، بالإضافة إلى الفئات الأخرى التي تتولى نقل البضائع وحملها ، وآخرون يحددون الأسعار كوسطاء بين البائع والشركة. مشتر. يمكننا التمييز بين نوعين من التجار: صغار التجار الذين يمارسون تجارتهم بمفردهم[1].

[1]- فيلالي عبدالعزيز، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، فوم للنشر والتوزيع، ج 3، الجزائر، 1996، ص 231.

ولتنظيم حركة نقل السلع والبضائع من مكان إلي آخر وجد الحمالون، الذين يزاولون مهامهم بترخيص من عامل المدينة، ولهم أمين يفصل في نزاعاتهم، كما وجد الدلالون (السماسرة) وهم عبارة عن وسطاء بين التجار فيما يبتاعونه أو يبيعونه إلي المشتري، حيث يحمل الدلالون السلعة من دكان إلي آخر مبتغين فيها أعلي الأثمان وتفيد إحدى النوازل الفقهية ما كان يسببه الدلالون من أضرار جسيمة للباعة والتجار، لأن المشتري كان يقوم (**بتقليب السلعة في حوانيتهم قاصداً الإشتراء، ويري السلعة في المناداة أقل ثمناً من التي في الحوانيت... فيترك الإشتراء منهم ويميل إلي سلعة المناداة لدي الدلالين، وينتج عن ذلك عدم تسويق سلعهم إلا في آخر النهار، مما يضر بمصالحهم، لأن التاجر أو البائع يسعي إلي بيع سلعته في أول النهار ليشتري بثمنها سلعاً غيرها**)[1].

ثانيا: الفنادق:

كانت لفنادق تلمسان بوابون يراقبون رواده، يختارون عادة من سكان المدينة المشهود لهم بالأمانة والصدق ويعتبرون جزءا من شرطة المدينة، ويحق لهم أن يمنعوا الأشخاص غير المرغوب فيهم، سواء كانوا من أهل المدينة أم أجانب، من دخول الفندق ما لم يكن لهم ترخيص من القنصل، أو غير مصحوبين بأحد المترجمين أو موظف من موظفي الجمارك.[2]

وحتى رجال الشرطة لم يكن يسمح لهم بالدخول إلى الفنادق إذا كانوا يريدون أحد التجار المقيمين فيها، وقد نوجب عليهم الاتصال أولا ومباشرة بالقنصل الذي يشرف على التاجر ومعالجة الأمر معه. وكان كذلك يمنع على تجار كل طائفة من الانتقال إلى فنادق الطوائف الأخرى على الرغم من تجاور فنادق الطوائف المسيحية المختلفة.

---

[1]- فيلالي عبدالعزيز، المرجع السابق، ص 233.

[2]- محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تحقيق: علي الشنوفي، مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق، عدد1، 1966-1965، ص 19- 20.

يضع التجار الأوروبيون تجارتهم في مخازن الفندق ثم يعرضونها على الزبائن، ويتم البيع عن طريق الجملة أو بالتجزئة، وتوجد مقبرة خاصة بالجالية المسيحية قرب الفندق، وكنيسة يؤدون فيها شعائرهم وطقوسهم الدينية بحرية، لدرجة أن أصواتهم كانت تسمع من الخارج وكانت هذه الكنائس بسيطة في بنائها، وهي عبارة عن غرفة كبيرة، لا يسمح بارتفاعها وعلوها كثيراً وقد عرفت كنائس الجنويين والبنادقة باسم القديسة (Sainte Marie)، ولم تكن للجمهوريات الإيطالية في تلمسان كنائس أخرى خارج الفنادق، ولعل رجال الدين الذين يقومون بشؤون هذه الكنائس ويديرونها، كانوا يعينون من قبل أساقفة مدنهم الإيطالية، ويوجد بالفنادق أجنحة خاصة يسكنها القناصل، كما توجد بعض الغرف مخصصة لسجن التجار المخالفين الذين يصدر ضدهم القنصل أحكاما، واستخدمت بعض غرف الفندق كبرصات أو نوادي للتجار.[1]

وكان للتجار من البندقية، عكس الجاليات الأخرى، الحق في الذهاب إلى الحمامات العمومية بالمدينة كلما أرادوا ذلك تنفيذا للمعاهدة المبرمة مع الدولة الزيانية، ويشرف على تسيير الفندق وتنظيم حركة التجارة به موظف يعرف بالفندقي، وهو مندوب القنصل، وكان التجار الأوروبيون لا يغامرون بالتوغل بتجارتهم إلى جوف الصحراء، وإنما كانوا ينتظرون بفنادقهم قدوم التجار المسلمين واليهود المحملين بالذهب والعاج وريش النعام، وهي البضائع التي تشتهر بها بلاد السودان.[2]

ثالثا: القناصل.

أما القناصل فهم تجار أيضا، تعينهم حكوماتهم طبقا للاتفاقية المبرمة مع بني زيان، وكانت مدة خدمتهم قصيرة لا تتعدى ثلاث سنوات على الأكثر، ويسمح للقنصل باصطحاب معه كاهنا وأربعة خدم، يعرف أحدهم الكتابة؛ ومن حقه أن يأخذ معه ما يرغب من السلع والبضائع للاتجار بها وحصانين؛ ويبلغ راتبه ثلثي دخل الفندق الذي يشمل مبلغ كراء غرف الفندق والمخازن. ويبدو أنه كان لكل دولة من الدول الأوروبية المتوسطة الكبرى أكثر من قنصل في الدولة الزيانية، ولا

[1]- محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، المرجع السابق، ص 21.

[2]- المصدر نفسه، ص 25.

سيما في الثغور والمدن البحرية مثل وهران وهنين وغيرهما، وإذا كان القنصل العام يوجد في مدينة ما، فإن نوابه كانوا يمثلونه في مدن أخرى ويشرفون على فنادق لهم ويسهرون على مراقبة المسائل التجارية لصالح رعاياهم من التجار. وتمثلت مهمتهم كذلك في العمل على توفير الراحة لجاليتهم والعدل بينهم، وكان يسمح للقنصل بمقابلة السلطان أو الأمير مرة واحدة في كل شهر بموجب الاتفاقيات، وبإمكانه أيضا مقابلة حاكم المدينة أو الإقليم الذي يعيش فيه.

وبالمقابل فلا وجود لقناصل يمثلون الدولة الزيانية في المدن والموانئ المسيحية، وكان الوجود الزياني في الموانئ الأوروبية عبارة عن مبادرات فردية قام بها بعض التجار المسلمين، لأن الدولة الزيانية كغيرها من الدول الإسلامية، لا تشجع التجار المسلمين إلى الذهاب إلى دار الكفر، وكان الوازع الروحي في الغالب يقف أمام المسلمين ويمنعهم من الذهاب إلى النصارى، على الرغم من أنه كان لبعض التلمسانيين أسهم في الأسطول التجاري الذي جاب سواحل البحر المتوسط الشمالية والجنوبية، نذكر من بينهم الوزير هلال القطلاني، الذي كان يملك نصف سفينة إسبانية[1].

المبحث الثالث: المنتجات والمبادلات التجارية (الصادرات والواردات):

أولا: الواردات.

مون تجار المماليك النصرانية الدولة الزيانية بكثير من المواد، سواء منها المواد الأولية أو الاستهلاكية فنجد من بين أهم السلع الواردة:[2]

1- **المعادن:** وأهمها النحاس الذي كان تستورده دولة بني عبد الواد من البلدان المسيحية ليمر عبر غرناطة على شكل أواني أو قطع أو صفائح أو خيوط، ليصنع في بلاد المغرب أو ينقل إلى بلاد السودان ، بالإضافة إلى معادن أخرى مثل القصدير والحديد والفولاذ والتي اشتهرت بها بلاد الأندلس وصدرتها إلى بلاد المغرب قبل هذا العهد وكانت هذه المعادن تستعمل من طرف الصاغة لتخلط بالذهب والفضة فتصنع منها الجواهر أو النقود أو تباع على أنها ذهب خالص ويضاف إلى

[1]- سامي سلطان، **الجاليات الإيطالية في الدولة الزيانية**، مجلة سيرتا، عدد 10، أفريل 1988، ص 91-92.

[2]- رضا كحيلة، **المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب**، جامعة القاهرة، 1997، ص 215. (دار النشر)

المعادن الحلي التي تم جلبها من إيطاليا على شكل مجوهرات، أو حلي مصنوعة من المرجان والذي تخصص فيه أكثر يهود ميورقة، إذ كانوا يجلبونه من بلاد المغرب ليتم تصنيعه على شكل حلي أو زخرفة ثم يعيدون تصديره.[1]

2- **الزجاج**: نقل الإيطاليون كميات كبيرة من الأدوات الزجاجية إلى كل المدن الساحلية المغربية، وقد لاحظ أن المعاهدات لم تحدد أنواع المصنوعات الزجاجية التي كانت تستورد أثناء العصر الوسيط، ويرى أنها كانت تسجل ضمن السلع المختلفة، وتُرتب في قائمة الحلي ربما بغرض التهرب من الضريبة التي تساوي العشر على المواد المستوردة، في حين أن الضريبة على الحلي لا تمثل إلا نصف العشر[2].

3- **الأسلحة**: كان التجار يجلبون الأسلحة المختلفة من البلاد المسيحية لبيعها في أراضي الزيانيين رغم منع الكنيسة لتصديرها إلى المسلمين لأنها تستعمل في الحرب ضدهم، إلا أن التجار المسيحيين تجاوزوا هذه القرارات بسبب إغراءات الأرباح الطائلة التي توفرها لهم هذه التجارة ومن بين أنواع الأسلحة نجد السيوف والخناجر والرماح والخوذات والدروع.[3]

4- **المواد الغذائية**: استوردت الدولة الزيانية مواد غذائية كثيرة فامتلأت مخازن القيساريات بأنواع متعددة منها مثل الزيت القادم من جزر البليار أو من شبه الجزيرة الإيبرية من بلنسية خاصة والذي كان يوزن بالجِرار أو البهارات وكذا التمور من جنوب السودان.

وأهم هذه المواد الملح الذي كان بمثابة سلعة العصر وكان يستورد عن طريق القوافل من السبخات الصحراوية وعلى الخصوص سبخة تغازى الواقعة بين سجلماسة وتاودوني والتي بها ملح عبارة عن ألواح ضخمة تصنع منها البيوت، وتتم مقايضته بالذهب مع الإشارة كذلك إلى ملح

---

[1]- عبد الصمد حمزة، **اقتصاد المغازي عند مؤرخي الغرب الإسلامي**، مذكرة الماجستير غير منشورة، تخصص تاريخ وحضارة، كلية العلوم إسلامية، الجزائر 2011/2010، ص 88/87.

[2]- رضا كحيلة، مرجع سابق، ص 215.

[3]- رضا كحيلة، المرجع السابق، ص 220.

جزيرة يابسة الذي كان ينقل إلى ميناء برشك في المغرب الأوسط غير أن الضريبة المفروضة عليه كبيرة.[1]

والأرز الذي يتاجر به البلنسيون في بلاد المغرب وبعض الفواكه الجافة وجلب المسيحيون إلى بلاد المغرب أنواعا من الكحول والنبيذ رغم تحريمها في البلاد الإسلامية، إلا أن أكثر استهلاكها كان في الفنادق التي تأوي الأجانب والتي تتواجد بها حانات خاصة بهم وكان استيرادها يتم عن طريق القطلانيين خاصة ويصل سعرها في بلاد المغرب إلى أضعافه في البلاد المسيحية خصوصا إذا تعلق الأمر بما يسمى بالنبيذ الإغريقي.[2]

5- **الحبوب**: رغم ازدهار الفلاحة في أراضي الدولة الزيانية إلا أننا نجد أن هناك استيرادا ولو كان ضعيفا لأنواع من الحبوب كالقمح والشعير، خاصة في وقت الأزمات التي تنجر عن الحصار أو الجفاف أو الحروب أو الأوبئة والجوائح التي كانت تتعرض لها بلاد المغرب.

6- **مواد أخرى**: كما امتلأت موانئ الزيانيين بمواد أخرى مختلفة منها الحيوانات مثل الخيول من برشلونة، والزرافة من إفريقيا السوداء، أو الصمغ والعاج وكذا ريش النعام والفلفل الغيني، والعنبر والبخور والتوابل وبعض الأعشاب الطبية أو العطرية والتي يستوردها المسيحيون واليهود من الشرق الأقصى خاصة ثم يعيدون بيعها في بلاد المغرب، وحتى بعض الأنواع من المسك والعطور وخاصة المسك المستخرج من السنور إضافة إلى الصابون والطباشير من طرف البلنسيين والخردوات المتنوعة وحتى الحديد كان ضمن قائمة واردات الدولة الزيانية قد صدر كمية من الحديد من جزيرة صقلية إلى الدول الإسلامية في شمال إفريقيا وحتى الفخار وبعض معدات الفروسية كانت تستورد من أوربا.

7- **العبيد**: وكانت من أشهر مبادلات العصر، إذ كان العبيد يجلبون من بلاد السودان الغربي خاصة من أكبر سوق للنخاسة في مدينة غاو الواقعة جنوب شرق مدينة تمبكتو، والتي تعد أية طريق

---

[1]-Marcais: **collection les villes d'art bres**, tlemcen, paris, laurens, 1950 p 263.

[2]- رضا كحيلة، المرجع سابق، ص 216.

القوافل التجارية من الشرق ومن الشمال، وقد أصبحت تجارة العبيد تجارة رائجة جدا لحاجة الناس إليهم وخاصة الملوك والنبلاء، فتصدر اليهود قائمة التجار المهتمين بهذا النشاط التجاري، وجلبوا كثيرا من الرقيق إلى المدن الزيانية، حتى من البلاد المسيحية.[1]

ثانيا: الصادرات.

تعددت صادرات الدولة الزيانية التي أشرف على تجارتها تجار المماليك النصرانية أو شاركوا فيها ومن بينها:

1- **الذهب:** وكان يؤتى به من بلاد السودان عبر طريق الذهب التي نشط على طولها اليهود وصولا إلى المدن الساحلية الزيانية التي أضحت منطقة عبور لهذا المعدن الثمين إلى كل بلاد العالم سواء في أوربا أو المشرق.

2- **الحبوب:** كانت البلاد الزيانية أرضا خصبة لكل أنواع الحبوب التي تمتعت بجودة عالية أهلتها لتبوء مكان الصدارة ضمن قائمة صادرات البلاد، وأول أنواع الحبوب:

- **القمح:** تركزت زراعة القمح في الدولة الزيانية على أطراف مدينة تلمسان وتنس وسهل متيجة وصدرت منه كميات كبيرة إلى أوربا، حيث كانت تحمل عن طريق موانئ الدولة في كل من وهران وهنين إلى موانئ مرسيليا وألمرية وميورقة وبرشلونة ومدن أخرى وكانت كميات أخرى من القمح تصدر على أيدي التجار إلى بلاد السودان والصحراء التي عانت من نقص فادح في هذه المادة.
- **الشعير:** وكان يزرع بكثرة في سهل إيسلي، ويصدر خاصة إلى أريولة وبرشلونة، وميورقة.
- **الحنطة:** وتزرع حول أرزيو وتنس، وتصدر من تلمسان إلى كل البلاد في السفن والمراكب.

كانت الحبوب توزن بالقفيز الذي تغيرت موازينه حسب أنواع الحبوب، وتغيرت كذلك أسعار الحبوب بصفة كبيرة إذ ربما وصلت أسعارها في البلاد المسيحية إلى عشر أضعاف سعرها في البلاد الزيانية.

[1]- عبد الصمد حمزة، المرجع السابق، ص 89- 90.

ومما تجدر الإشارة إليه أن اليهود قد احتكروا تجارة الحبوب في هنين وتلمسان، حتى أنهم كانوا السبب في انتشار المجاعة في المواسم التي تعرف تراجعا في إنتاج الحبوب بسبب احتكارهم لها، مما اضطر الحاخام "إسحاق بارشيشات" إلى إصدار فتوى يمنع بموجبها اليهود من المتاجرة بالقمح لتفادي وقوع المشاكل بينهم وبين المسلمين.[1]

- **الفواكه:** وأهمها التمور التي كانت مراكز إنتاجها الواحات الصحراوية مثل توات وسجلماسة التي كانتَ تعُد أنواعا كثيرة من التمور لا يشبه بعضها بعضا، من بينها الرطب المعروف باسم "البرني" ولونه شديد الاخضرار، ونواته صغيرة جدا، ويفوق في حلاوته كل الفواكه وتصل تمور المغرب إلى كل البلاد المسيحية حتى مدينة فلاندر الواقعة شمال أوربا .

بالإضافة إلى أنواع أخرى من الفواكه منها الزبيب والتين أفف والتي كانت تصدر إلى أوربا وبلاد السودان وأقطار أخرى.[2]

3- **المنسوجات ومواردها الأولية:** وأبرز المواد الأولية التي تدخل في الصناعة النسيجية هي الصوف، الذي كانت بلاد المغرب أبرز مركزا لإنتاجه وكان يصدر عبر مينائين هامين من موانئ الزيانيين هما ميناء مستغانم ومزغران، والمستوردين من ميورقة، واختلفت أثمانه حسب نوعه وجودته، وكان يوزن بالطرود أي الحزم أو الأكياس مثل الصوف المعروف بالموتونيرا إضافة إلى الجلود التي تنوعت كثيرا بسبب تنوع الحيوانات وكثرتها في بلاد بني عبد الواد، مثل الأغنام والماعز والبقر والخيول وحتى الجمال وخاصة جلود الحيوانات المولودة ميتة، وكان الميورقيون والقطلانيون أشهر تجار هذه البضاعة عبر المدن الساحلية ومنها ينقلوها إلى إيطاليا وإنجلترا وباقي الدول الأوربية ولم تستعمل هذه الجلود فقط في المصنوعات النسيجية وإنما تعدى استعمالها إلى السفن الحربية.[3]

---

[1]-Morale Oliver: **Ora Y España - Conférencia in I.E.A**, 23 November 1960, P92

[2]-Morale Oliver: même provenance, p93.

[3]- محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، مرجع سابق، ص 22.

أما بخصوص المواد النسيجية المصنعة فقد اشتهرت المدن الزيانية وخاصة تلمسان بتفوقها في صناعة أجود الأنواع من القماش أو الملابس الجاهزة، لذلك تهافت تجار أهل الذمة على شراء هذه المواد لتصديرها إلى كافة الأقطار ومنها إيطاليا والبرتغال والسودان، ومن بين هذه السلع نجد البرانس، الجبات والحياك الأغطية، الأفرشة وغيرها إضافة إلى ألبسة الحرير والكتان والمنسوجات القطنية التي ازدهرت أسواقها في أورب فأقبل عليها التجار، خاصة منهم البيزيين والبنادقة وحتى مملكة سنغاي حملت إليها هذه المنتوجات.[1]

4- **المرجان:** أقبل التجار الأوربيون على شراء المرجان من الزيانيين نظرا لجودته وتوفره على سواحل البلاد خاصة سواحل تنس وجزائر بني مزغنة ووهران، فاشتهر في تجارته الأرغونيون والإيطاليون والبنادقة والجنويون لأنه يدخل في تصنيع أوهرات ويتم تصديره إلى كل البلاد.[2]

5- **المواد الحربية:** رغم تحريم التعامل بها من قبل الفقهاء المسلمين أو البابوية، إلا أن تجارتها كانت رائجة نظرا لما تدره من أرباح هامة على المتعاملين فيها، وقد تنوعت هذه المواد كالسيوف أو لوازم الخيول كالسروج والمهماز والشكيمة والركاب واللجام.

6- **الحيوانات** : صدرت بلاد الزيانيين عن طريق موانئها العديد من الحيوانات مثل الخيول التي كانت تتمتع بشهرة كبيرة جعلتها محط أنظار التجار الأوربيين الذين أقبلوا على شرائها والانتفاع بها أو إعادة بيعها في بلادهم وخاصة لملوكهم وقد كانت أثمنا غالية جدا خاصة في بلاد السودان لذلك ربما قويضت بالعبيد أما الجمال فقد اعتبرت سلعة هامة نظرا لمقاومتها للظروف القاسية غير أن أغلب تجارتها كانت مع بلاد السودان.

---

[1]- Pellegrin: **Histoire de Tunisie**, Tunis, 1942, p 76

[2]- عبد الرؤوف عصام الدين الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، مصر، 1984، ص254.

7- **العبيد:** شهدت تجارة العبيد رواجا كبيرا خاصة عند المتعاملين الأوربيين أو اليهود بالنظر لأرباحها الطائلة، وحاجة الملوك والنبلاء المسيحيين والافارقة إليهم في الأعمال اليومية في القصور والأراضي وتباينت أثمان العبيد حسب السن والجنس والقوة والصحة ومرات كثيرة حسب تقلبات الأسواق.[1]

جدول للبضائع المتبادلة:

مما سبق ذكره يمكن أن ننشئ الجدول التالي حول البضائع المتبادلة بين الدولة الزيانية والدول الأخرى، والتي كان تجار المماليك النصرانية مشاركين فيها استيراد وتصديرها:

الصادرات	الواردات
المعادن (الدهب، نحاس، حديد، القصدير، الفولاذ)	الذهب
الزجاج	الحبوب (القمح، الشعير، الحنطة)
الأسلحة (السيوف، الخناجر، الرماح، خودات، الدروع)	الفواكه (التمور، الفواكه المجففة)
الخشب (المصنع وغير مصنع)	المنسوجات وموادها الأولية
المواد الغذائية	المرجان
الحبوب (القمح، والشعير)	المواد الحربية (السيوف عدة الخيول)
المواد النسيجية	الحيوانات (الخيول، الجمال)

المصدر: من إعداد الطالبتين

[1]- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت1041هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1985، ص 156.

الخاتمة

إن الباحث في موضوع العلاقات الاقتصادية لأي بلد ما وخاصة في العصر الوسيط، سيجد نفسه مضطراً للتطرق للجانب السياسي والاقتصادي معاً لأنهما أمران متلازمان ومرتبطان مع بعضها البعض، فقد تميزت العلاقات السياسية بين الدولة الزيانية والممالك المسيحية في عمومها بالعداء، وهذه طبيعة علاقة تربط دار الإسلام بدار حرب تريد السيطرة عليها، فكانت مليئة بالحروب تتخللها فترات من السلم تقتضيها مصلحة تلك الدول حينما تحس بإنهاك طاقاتها وقدراتها الاقتصادية والعسكرية.

ومن أهم النتائج المتوصل إليها في بحثنا هذا أن طبيعة العلاقات بين الدولة الزيانية والممالك المسيحية تحكمت فيها شخصية سلاطين الدولة الزيانية، فكلما كان السلطان دو قوة ونفوذ تكون الدولة قوية وهذا ينعكس على زيادة التبادلات التجارية مع هذه الممالك المسيحية والعكس صحيح، وقد تميزت هذه المبادلات بوجود بعض التجاوزات التجارية مما يؤدي إلى اتخاذ إجراءات تتم بطرق دبلوماسية تؤدي إلى عقد معاهدات صلح تتضمن قضايا اقتصادية وهذا ما أدى إلى عدم الفصل بين الجانبين الدبلوماسي والتجاري.

تعتبر العلاقات التجارية بين الدولة والممالك المسيحية في حقيقة أمرها وسيلة أو سلم ركبته هذه الممالك لتدخل في شؤون الدولة الزيانية، وخير مثال على ذلك ما حدثة مع مملكة أرغون لما منحتها الدولة الزيانية امتيازا قضائياً يخول لها محاكمة مرتكبي الجرائم والجنح على أرضها لدى القضاء الآرغوني، وهو ما يمس بشخصية وسيادة الدولة الزيانية.

ومن أهم النتائج المتوصل إليها في بحثنا هذا أنه في حال السلم كان التجار يتوافدون على تلمسان من خلال موانئ وهران والمرسى الكبير، وتكون بضائعهم من الثياب القطنية والحريرية والخردوات والنحاس والزجاج والعطور، أما أهم ما يتم أخذه من تلمسان فهو منتوجات بلاد السودان من عاج وذهب وعبيد، إضافة إلى أن الدولة الزيانية كانت تصدر الصوف والمنسوجات والماشية والحبوب والكتب باعتبار تلمسان كانت تعتبر ممراً للبضائع الإفريقية.

وأهم ما يمكن استخلاصه أن المبادلات التجارية بين الدولة الزيانية والممالك المسيحية كانت أمراً حتمياً أوجدته ظروف المنطقة التي كانت تمر بمرحلة انتقالية لكلا الجانبين، فهذه الممالك المسيحية

كانت لاتزال في مرحلة استجماع قوتها لبدء في مرحلة جديدة هي الاستيلاء على شمال إفريقيا، والدولة الزيانية كانت في مرحلة البحث عن الذات الأمر الذي أدخلها في حالة من الصراع والفوضى التي أبعدتها بشكل كبير عن الاهتمام ببناء قوتها الاقتصادية خاصة إذا كان السلطان يتمز بالضعف، لان الأمن شرط أساسي للنهوض الاقتصادي.

قائمة المصادر

والمراجع

أولا: المصادر.

1. ابن الخطيب ابن الخطيب لسان الدين، **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1980.
2. ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب، ط2، بيروت، 1969م.
3. أبو العباس الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه مجموعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، 1981
4. أبو عبد الله بن محمد العبدري، **رحلة العبدري المسماة الرحلة المغربية**، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط 1968.
5. التنسي محمد بن عبدالله بن عبد الجليل (ت 899 هـ/ 1493م)، **تلمسان**، تحقيق: محمود بو عباد (الجزائر، 1985م).
6. القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبو زيد (ت183هـ/3994م)، **النوادر والزيادات علي ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، تحقيق محمد عبدالعزيز الدباغ، دار الغرب الإسلامي، 1999، بيروت.
7. محمد بن أحمد بن قاسم العقباني، **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تحقيق: علي الشنوفي، مجلة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق، عدد1، 1965-1966.
8. المراكشي، محي الدين عبد الواحد (ت 647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، نشر: محمد سعيد، ومحمد العلمي، دار الاستفاقة (القاهرة، 1963م).
9. المقري شهاب الدين أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1985.

مصادر الأجنبية:

1. Abbé BARGES, **Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom**, sa topographie, son histoire, Paris, 1859
2. Atallas Dhina ; **Les De L'occident Musulman Au 13 et 15 Siècles** ; Office De Publication ; Alger
3. Duforc , **Espagne et catalane et le Maghreb au xlll et xlv siècle** ,paris, 1965
4. Gauvet ct ,**l'origine zenata bulletin provisoire de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord** , 2eme trimestre , 1942
5. MARCAIS : Collection les villes d'art bres: **TLEMCEN**, Paris : Laurens, 1950
6. Morale Oliver ,**Ora Y España- Conférencia in I.E.A**, 23novombre 1960
7. Pellegrin : **Histoire de Tunisie**, Tunis, 1942

ثانيا– المراجع:

1. بشير رمضان التليسي، **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي**، خلال القرن الرابع الهجري، العاشر للميلاد، ط1، 2003، المدار الإسلامي، بيروت، لبنان.
2. بن فارس أحمد بن الحسن، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، دار الفكر لطباعة والنشر، 1979.
3. جمال أحمد طه، **مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين (دراسة سياسية وحضارية)**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
4. جورج مارسي، **تلمسان**، ترجمة: سعيد دحماني، دار التل للنشر، الجزائر ، 2004
5. حسن إبراهيم حسن، **النظم الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، 1963م.
6. رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1965، ج 32.
7. رضا كحيلة، **المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب**، جامعة القاهرة، 1997.
8. سامي سلطان، **الجاليات الإيطالية في الدولة الزيانية**، مجلة سيرتا، عدد 10، أفريل 1988.

9. سعيد عبد الفتاح عاشور، **أوروبا في العصور الوسطى، التاريخ السياسي**، الطبعة الثامنة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985.

10. سعيد عبد الفتاح عاشور، **أوروبا العصور الوسطى– النظم والحضارة –**، مكتبة النهضة المصرية، مصر،1959، ج 2.

11. شبانه، محمد كمال، **الدويلات الاسلامية في المغرب**، دار العلم العربي (1429هـ/ 2008م).

12. شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار و الآثار الأندلسية**، الطبعة الأولى، الرحمانية، مصر 1936من الجزء الأول.

13. عبد الله عنان، **الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا**، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي القاهرة، 1997م.

14. عبد الله عنان، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، 2009.

15. عبد الرحمن محمد، **الدبلوماسية الإسلامية**، دار اليقين للنشر والتوزيع، السعودية، 2006

16. عبد الرؤوف عصام الدين الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق القاهرة، د.ت، 1984

17. عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة المغرب العربي**، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1414هـ 1994م.

18. عبد القادر بوباية، **المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس**، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011

19. العروي عبد الله ، **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، ط، بيروت، ج3.

20. علي حسن الشطاط، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2001

21. فيلالي عبدالعزيز، **تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية)**، فوم للنشر والتوزيع، الجزائر 1996 ، ج 3

22. كمال السيد أبو مصطفى، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، 2006.

23. مختار حساني، **تاريخ الدولة الزيانية، (الأحوال الاقتصادية والثقافية)**، منشورات الحضارة، الجزائر، ج 3.

24. الميلي، مبارك بن محمد، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث** (الجزائر، د. ت).

25. هشام أبو رميلة، **علاقات الموحدين بالمماليك النصرانية والدولة الإسلامية في الأندلس**، جامعة النجاح نابلس دار الفرقان الطبعة الأولى 1984

ثالثا: الأطروحات الجامعية.

1. إدريس بن مصطفى، **العلاقات السياسية والاقتصادية في المغرب الأوسط**، رسالة دكتوراه ، قسم علم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2008-2007

2. عمر بن قايد، **علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية (فرنسا وإسبانيا)**، رسالة ماجستير غير منشورة، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر 2011-2010

3. بغداد غربي، **العلاقات التجارية للدولة الموحدية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2014، 2015

4. أحمد غالب محمد الخطيب، **أحكام السفارة في الفقه الإسلامي**، رسالة دكتوراه في الفقه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1987،

5. عبد الصمد حمزة، **اقتصاد المغازي عند مؤرخي الغرب الإسلامي**، مذكرة الماجستير تخصص تاريخ وحضارة، كلية العلوم إسلامية، جامعة الجزائر 2011/2010.

رابعا: المجلات والدوريات.

1. إبراهيم سعيود، **القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة – القرصنة الإيطالية نموذجا–**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد11، 2011.

2. حسن أميلي، **مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في العرب الإسلامي**، دوية كان التاريخية، العدد43، الكويت، 2019م.

3. صالح بعيزيق، **بجاية في العهد الحفصي – دراسة اقتصادية واجتماعية–**، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2006 .

4. محمد لمرالي علوي: **الإطار العام للعلاقات المغربية مع جمهوريات المدن الإيطالية، البحر في تاريخ المغرب**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية-سلسلة الندوات رقم7 المحمدية، المغرب.

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

إن البحث في المبادلات التجارية **للدولة الزيانية** مع العالم المسيحي مهم للغاية، لما يكشفه من تأثيرات على العلاقة بين الدولة الزيانية **والممالك النصرانية**، لهذا جاءت هذه الدراسة تحاول الكشف ولو بشكل جزئي على الأوضاع و**العلاقات التجارية** بين الدولة الزيانية و**العالم المسيحي**.

الكلمات المفتاحية: الدولة الزيانية، **العالم المسيحي**، المماليك النصرانية، العلاقات التجارية.

Abstract :

The research on the commercial exchanges of the Zayan state with the Christian world is very important, as it reveals the effects on the relationship between the Zayan state and the Christian Mamluks. That is why this study attempts to reveal, even partially, the conditions of trade relations between the Zayan state and the Christian world.

Key words : the Zayan state, the Christian world, the Christian Mamluks, trade relations.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة توضح أهم الطرق التجارية.[1]

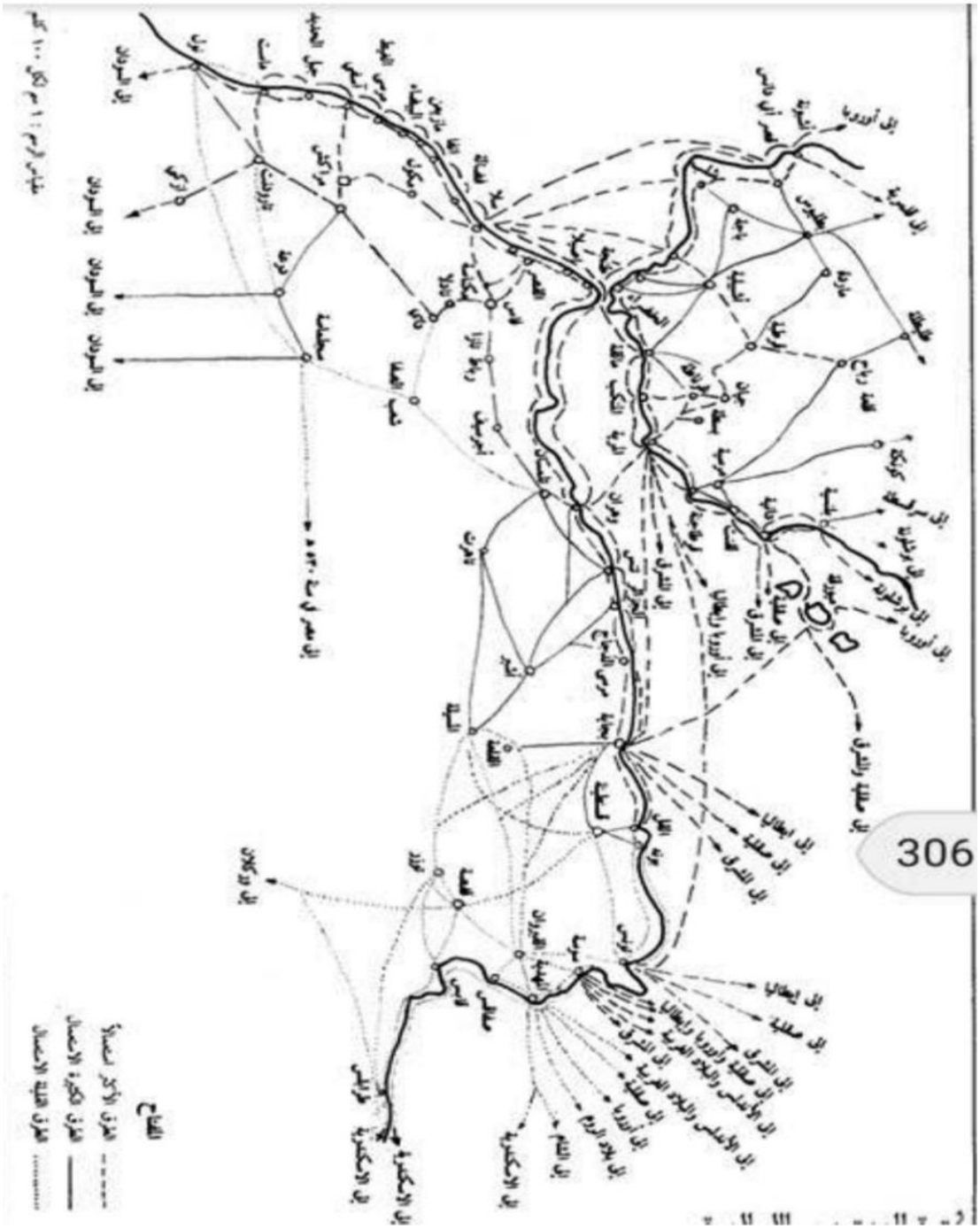

1- مروة ريفي، **العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والمدن الإيطالية ق 6-7 هـ/12-13م**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2018-2019، ص106.

الملحق رقم 02: خريطة توضح مملكة قشتالة.[1]

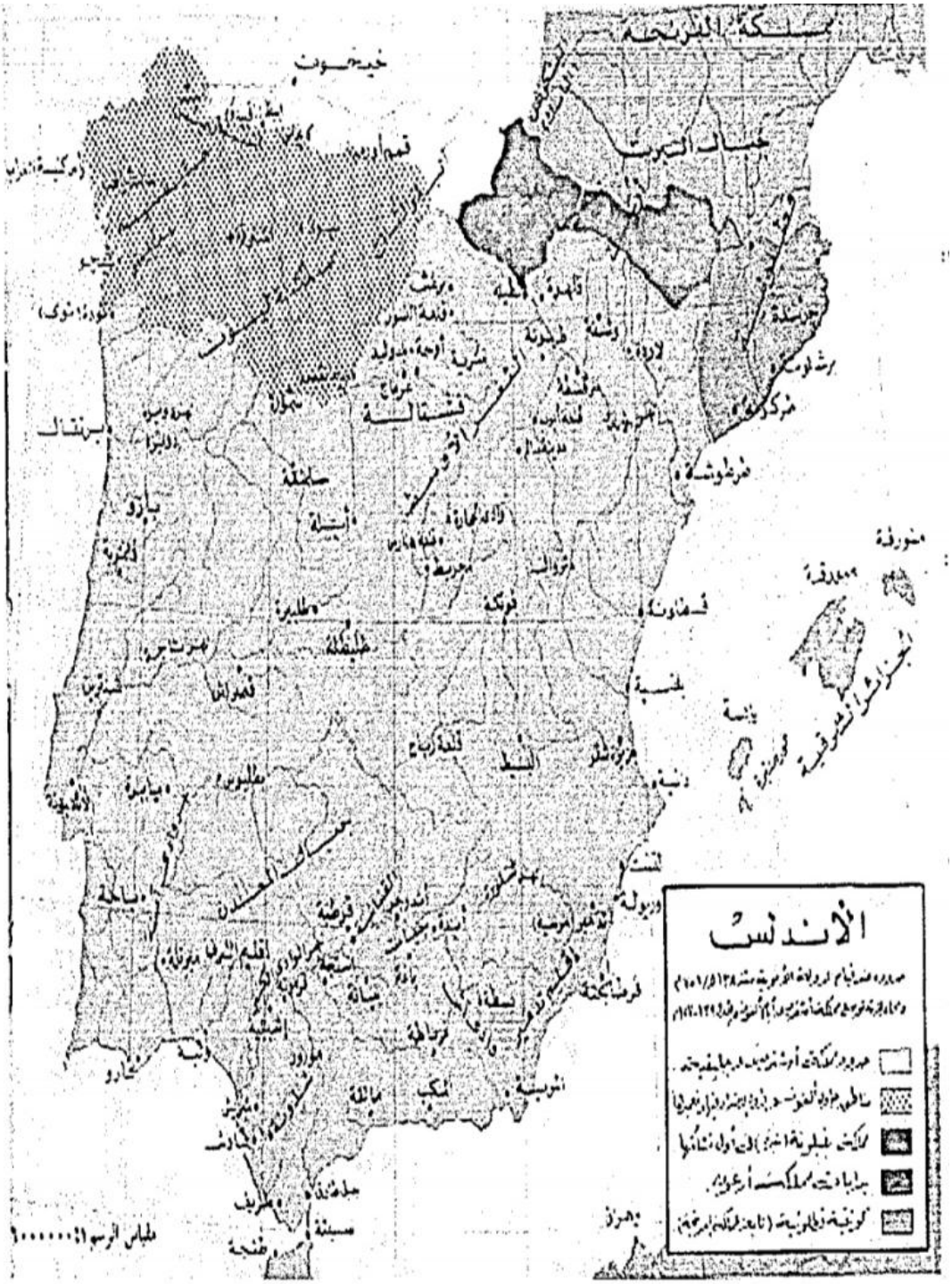

[1]- هشام أبو رميلة، المرجع السابق، ص 159.

الملحق رقم 03: خريطة توضح مملكة ليون.[1]

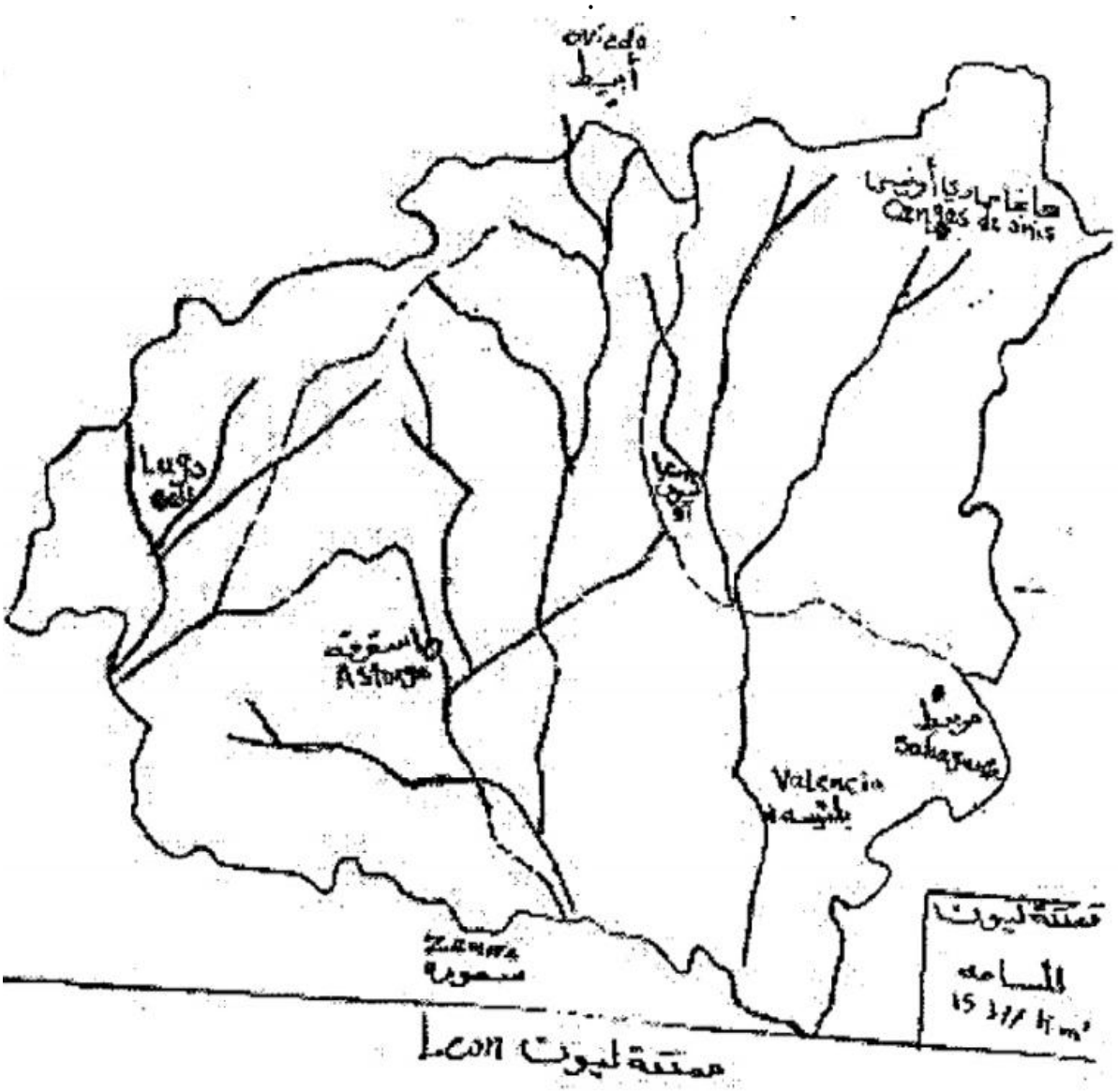

[1] هشام ابو رميلة :المرجع نفسه،157.

الملحق رقم 04: خريطة دولة بني مرين في اقصى اتساعها[1]

توضح هذه الخريطة المجال الجغرافي لدولة بني مرين في عهد أبو بكر بن عبد الحق المريني

1 شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر للنشر والتوزيع،ط:5، دمشق، 2005، ص 70 .

فهرس

العنوان	الصفحة
البسملة	
الآية	
الإهداء	
الشكر والعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	**01**
الفصل الأول: علاقات الدولة الموحدية مع المماليك النصرانية	
المبحث الأول: العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية	**08**
المبحث الثاني: المماليك النصرانية تعريف أهم الملوك النصرانية	**11**
المبحث الثالث: سقوط الدولة الموحدية	**15**
الفصل الثاني: قيام دولة بني عبد الواد في المغرب الأوسط	
المبحث الأول: جهود بني زيان في قيام دولتهم (التأسيس)	**24**
المبحث الثاني: علاقات بني زيان الخارجية مع (بني الأحمر، بني مرين، التجارة الداخلية)	**27**
المبحث الثالث: الأنشطة الاقتصادية في الدولة الزيانية (الزراعة، الصناعة، التجارة الداخلية)	**31**
الفصل الثالث: العلاقات التجارية للدولة الزيانية مع المماليك النصرانيين	
المبحث الأول: الطرق والمسالك (البرية والبحرية،) الموانئ ووسائل النقل	**37**
المبحث الثاني: الأسواق والمراكز التجارية والفنادق والقناصل	**41**
المبحث الثالث: المنتجات والمبادلات التجارية (الصادرات والواردات)	**44**

الخاتمة	51
قائمة المصادر والمراجع	54
ملخص الدّراسة	61
الملاحق	62
فهرس المحتويات	67